
أين الله
كرم صابر

أين اللّٰه

مجموعة قصصية

كرم صابر

طبعة ثالثة أون لاين تضم ملف القضية

للفلاحين فى بلادى

الذين علمونا حب الخير

والإيمان

دعاء

أيها "الرّبّ" المقامر على أفئدة الملايين المؤمنة بجبروتك ورحمتك.. ساعدنا، وانتشلنا من براثين التفكّك والانهيار.

أيها الرّبّ تنتظرك أحزان النساء لتبهج المتبقّى من العمر.. أين أنت ؟

فى كلّ عامٍ يمر نتذكّرك، ونقول فى السّنة القادمة لن ينسانا سيعود علينا بالأمانى والأغانى والأفراح؛ ليفتح البيوت التى أغلقها سواد الفقر والجهل، ونتمنّى عودة الحبيب مليئًا بالبهجة؛ ليفتح لنا أنهار الحبّ لنغتسل فيها من سنواتك العجاف.

لكنّ السنة تمرّ والسنة الأخرى تمر، ونحن ننتظر قوّتك وصوتك العالى، كى يُخرس الظالمين، ويعيد للبيوت ضحكتها المفقودة، ويفتح للأصدقاء والمحرومين أبوابك المغلقة لتتشبع من دفء حبك وعيونك المملوءة أملاً.

أيّها الرّبّ العالى فى ملكوته، وقد أغضبك جهلنا وقلّة حيلتنا، فعزلت نفسك كارهًا عبادك الفاسدين، عُدْ إلينا لتملأ حياتنا بمشاعر الطّمأنينة والأحاسيس المرهفة.

أيّها الربّ الجميل والمملوء رحمة ، نحن ننتظرك بالقرب من محطّات القطار وعلى نواصي الحوارى؛ كى تُهلك بيديك كلّ الظالمين لنعيش فى ملكوت رحمتك الباقى من العمر سعداء آمنين.. فهل تأتى وتستجيب لصرخات الملايين المحرومين منك؟

أيّها الربّ أنت الأمل.. عُد إلينا.

النّوم فى الصّلاة

يدخل منزله بعد يوم عملٍ طويل، يجد البطّ والكتاكيت حول أمه وهى تصلّى يغطّون بأطباق الخس والعيش المبلول، تقف البطّة الصغيرة أمام أمّه؛ لتمنعها من السجود فتزيحها من أمامها برفق.. ترمق البطة الأم وهى تقوم وتقعد باستغرابٍ، تحاول أن تقلّدهما فتبتسم الأم وتنظر لابنها، ليفهم قدرة الخالق المبدعة التى تجلّت بالبطة الصغيرة المؤمنة.

يدق باب الشقة، يزداد الدق ، والمرأة المندمجة بالصلاة تنظر لابنها "عبد الله" الذى أتى من شغله مهدودًا كى يفتح الباب، لكنّه ينام على الكنبة الملاصقة لها مفتوح العينين، ولا يهتم بتوسّلاتها بفتح الباب، فتقول له وسط الصلاة : "افتح الباب يا عبد الله!"، وعندما لا يهتم بندائها تقول : "يا ابن الوسخة يا رمّه، افتح الباب يا واد، مش شايفنى بصلّى!!"

يقوم "عبد الله" حتى لا تقطع أمه صلاتها أكثر من ذلك ويفتح الباب. يصرخ الأب فى "عبد الله" وأمه : "أنتم أموات.. مش سامعين الباب يا طرش"، فترد بعد أن قامت من السجدة الثالثة : "معلهش يا خويا كنت بصلّى!"، ينظر لها باستغراب، ويتعجّب من امرأة لم تمنعها صلاتها، من ممارسة حياتها بمشاركتهما الكلام حتى أثناء صلاتها، قالت للزوج العائد يا أبو عبد الله : "معلهش يا خويا مفتحتش الباب،

علشان مقطعش الصلاة زى مفهمتنى، الواد سامع الخبط ومش سائل، معلهش يا أبو "عبد الله" "، وتسبح ربها وهى تجهّز العشاء، تضع الطبلية وأطباق الطبيخ والعيش الساخن، وتقول : "هصلّى ركعتين الوتر عقبال ما تتعشّوا!".

ينظر أبو عبد الله صامتًا لزوجته التى لم تفهم أبدًا نصائحه بأنه يجب ألا تنشغل بأية أحداث أثناء الصلاة، لكنها دائمًا كانت تقول "يا خويا ربك رب قلوب".

السرسربعد العشاء يذهب "أبو عبد الله" لسريره ليرتاح من تعب النهار، كان عمله بطابونة العيش عند "الزهّار" يُهلك صحّته وصدره، طوال النهار وحتى أذان المغرب ، يرفع أجولة الدقيق ويعجن، لا ينتهى عملهم أبدًا إلا عند المغرب حتّى لو أغلقت الطابونة ساعة العصارى، يذهب لدكّان العلف المملوك لـ "الزهّار" ليَحمّل أجولة العلف على السيارات ومواشى الفلاحين، حتّى تنتهى عافيته مع أذان المغرب، فيستأذن "الزهّار" ويذهب للجامع المجاور يصلّى المغرب، يستريح قليلاً حتى أذان العشاء، ثمّ يصلّى العشاء جماعة، ويذهـب بعدها لمنزله يتعشّى وينام.

يعود "عبد الله" ابنه الذى يعمل بمخزن الأنابيب المُقام بأول البلدة كل يوم قبل أذان العشاء ليتعشّى مع والده، ثمّ يستحم ويخرج ليسهر مع أصدقائه حتّى الفجر، كان أبوه دائمًا ينصحه بأهمية الصلاة لشفاء الروح والمرض، كان يعتقد أنّ "عبد الله" يواظب على الصلاة ولا يترك أى

فرض؛ لأنه من بيتٍ صالح فالأم والأب لم يتركا ركعة أو فرضًا إلا وقاما بأدائه بحبّ.

مع أذان الفجر يصحو "أبو عبد الله"، يوقظ "أم عبد الله" وابنه؛ ليتوضأوا ويصلّوا الفجر، كان يقول : "إن صلاة الفجر بالجامع تمكننا من الحصول على نصيبنا من الرزق اليومى"، مع ذلك كان أبو عبد الله يصلّى الفجر بالمنزل؛ لأنه يفطر سريعًا بعد الصلاة، ويتوكّل على الرحمن ذاهبًا لعمله فى الطابونة، ليخبز أجمل الأرغفة لأهل الحى.

بعد صلاة العشاء يخرج "عبد الله" ليسهر مع زملائه بمنزل "عادل عزيزة" زميله بالمخزن فيشربوا البيرة، ويحشّشوا حتى منتصف الليل، ثمّ يعود للمنزل لينام حتى الفجر؛ لأن والده يوقظه دائمًا ليصلّى الفجر بالجامع.

كان "عبد الله" يصحو وهو مازال نائمًا، يلبس حذاءه ويذهب للجامع القريب لمنزلهم يغسل وجهه بالماء البارد، يتوضّأ على مضض، ينسى أثناء الوضوء أن يغسل فمه أو أذنيه، مع ذلك كان يعتقد كأمّه أنّ الطهارة بالقلب، فلا يغسل فتحة شرجه أو فمه قبل الصلاة، كانت تأثير كلمات أمّه التى لم تمنعها صلاتها من فتح الباب لأحد الجيران، أو التحدّ ث مع والده بدعوى أنّ الرب ينظر إلى قلوبنا، ولا ينظر إلى أفعالنا يدفعه للتأمّل والغضب من فَهم الأبّ القاصر للعبادة، فى أيامٍ كثيرة كان يصلّى دون وضوء!، بعد ركعتي الفجر وخروج والده يعود؛ لينام بالمنزل ليستيقظ فى الساعة

التاسعة يفطر ويخرج بعجلته؛ ليوزّع أنابيب البوتاجاز على الشقق

في هذه اللّيلة التى لم تنسها الحارة أغلقت "عزيزة" ، والدة عادل صديقه ، باب بيتها أمامهم، وقالت لهم : "لن تسهروا عندى مرة أخرى بعد أن حرقتم السرير"، لولا ستر ربّنا الليلة الماضية لاحترق المنزل بعد أن طار فحم الجوزة على السرير دون أن يدروا، وأيقظ الدخان والنار المشتعلة بالسرير "عزيزة"، فأطفأتها سريعًا وطردتهم.

أشار "عادل عزيزة" الى "عبد الله" بأن يسهروا فوق منزلهم، فأبوه ينام مبكرًا ولن يحس بهم، فصعد أصدقاؤه لسطح منزل "أبو عبد الله" متسلّلين بعد أن أخذوا الجوزة وباقى عدة جلسة السمر، واشتروا ربع قرش حشيش وزجاجات البيرة العشر، أحضر "عبد الله" حصيرة من عشة طيور أمه وأشعل النّار، غسل "عادل" الجوزة، فتح الأصدقاء زجاجات البيرة، بعد أن شربوا لمدة ساعتين فُوجئوا بالهواء والرياح العاتية تُلقى بمنقد النار على حطب المنزل، حاولوا إطفاء النار لكنّ الرياح كانت أسرع من وعيهم، صرخ "عبد الله" بعد أن ارتفعت النار : "الحقونا.. حريقة.. الحقونا.. حريقة".

صحا الناس وهاج الشارع، طلع الناس فوق السطوح بحلل المياه يحاولون إطفاء النار التى أكلت حطب "أم عبد الله"، ودخلت على حطب الجيران، لكنّ جمع الناس الكبير تمكّن فى النهاية من إطفاء النار.

كان الفجر قد قارب على الأذان والشارع يمتلئ بالبشر، و"أبو عبد الله" يندهش لما حدث، ورغم أنّ معظم الناس قد فهمت سبب الحريق دون أن يحكوا له، إلا أنّ أبا عبد الله كان مذهولاً، قال للناس وهو يمسك ببعض زجاجات البيرة: "أنا فاهم كل حاجة.. النار التهمت حطب المنزل، بعد أن أشعلها أحد الأطفال الذين كانوا يلعبون بالشارع، وبفعل الرياح امتدت لمنزلنا ومنازل الجيران، لكنّى لا أعرف من أحضر تلك الزجاجات الكبيرة لسطح منزلنا؟!"، ووضعَ زجاجات البيرة العشر الفارغة فى حجره ليريها لأهل الشارع، ويتعجّب من قدرة الله التى ألقت بتلك الزجاجات من السماء؛ لتطفئ النار قبل أن تلتهم كل البيوت.

حاول أحد الجيران أن يُفهمه أنّ تلك الزجاجات الفارغة هى زجاجات بيرة، وأنّ ابنه وأصدقاءه كانوا يجلسون فوق سطح المنزل، نظر إليه مستاءً من ذكر ابنه التقّى بالشر، صرخ فجأة فى "عبد الله"، وقال له : "زجاجات إيه ده يا "عبد الله" "، فرد عبد الله : "زجاجات بيبسى كبيرة أعطاها لنا صاحب مخزن الأنابيب الليلة الماضية؛ لنشربها وحين اشتعلت النار حملها الأصدقاء لسطح المنزل ليطفئوا النار"، ورغم أنَّ "أبا عبد الله" لم يقتنع باتهام ابنه بشرب المنكر؛ لكنّه أيضًا لم يصدّق حكاية زجاجات البيبسى الكبيرة، كان يحس أنّ ابنه وصحبته هم المتسببون فى الحريق الذى كاد يلتهم الحارة، رغم ذلك نظر لـ "عبد الله"، وقال : "الحمد لله ربنا سترها علينا"، أخذ "عبد الله" من يديه وذهب للجامع، ليصلّى الفجر جماعة على غير عادته، بعد أن أعلن الإمام

الصلاة، وطلب من الناس مساواة الصفوف، جاور "أبو عبد الله" ابنه، الذى لم يقم بعد السجدة الأولى مثل باقى المصلّين، فضربه أبوه بقدمه ليوقظه ويقوم مثل الناس، لكنّ "عبد الله" كان قد غطّ فى النوم، حاول "أبو عبد الله" أن يضربه بقدمه وبيده، كى يستيقظ من النوم، لكنّ "عبد الله" الذى عمل طوال النهار ولم يذق طعم النوم حتى الفجر كان يحلُم مع الملائكة بالرز "أبو لبن"، حين قال الناس جميعًا وراء الإمام : "آمين"، بعد أن أنهى فاتحة الركعة الثانية سمعوا شخير "عبد الله" مُدويًا بالجامع، أحسّ "أبو عبد الله" بأنّ جميع المصلين ينظرون له ولابنه الفاجر، فصرخ "أبو عبد الله" فى ابنه : "دا مكنتش قزايز بيبسى كبيرة يا بن الكلب، دا كانت قزايز بيرة!!"، نزل عليه بقدميه ويديه؛ ليوقظه من النوم وهو يصرخ : "دا مكنتش قزايز بيبسى كبيرة يا بن الكلب"، فانفجر الناس جميعًا فى الضّحك، وأنهوا الصلاة ليفكّوا يد "أبى عبد الله" عن رقبة ابنه، وتذكّروا "أم عبد الله" التى لم تمنعها الصلاة من فتح باب الشقة، والتحدّث مع الجيران، وإطعام الوز والبط والكتاكيت، فواصلوا الضّحك حتى أجبروا الإمام على إنهاء الصلاة، لو لم يفعلوا ذلك لكان "عبد الله" قد مات فى هذا اليوم بالجامع!!!

لُغَةُ الأَحَاسِيس

فهمت من جدتى أنّ عرسة صفراء عضّتنى فى لسانى وأذنى، عندما بلغت عامى الأول ، ففقدت النّطق والسمع، الوحيدة التى أفهم لغة عيونها وإشاراتها بسهولة؛ لأنّها التى ربّتنى وعلّمتنى معانى الأشياء.

كانت تشير على الأكل لتعرّفنى بأنه احتياج للبطون الجوعانة، وتشير لصدر جارتنا لتعرّفنى بأنّها امرأة، بينما شنبات الأب تدلُّ على أنه الرجل.

هكذا تعلّمت اللغة دون أن ينطق لسانى الملدوغ، أو تسمع أذنى المخرومة.

كبرت وسط إخوة لم يسمعوا نبرة صوتى، أو أسمع انطباعاتهم عن معانى البهجة والحزن، والألم والخير.. لم أكن أنطق إلا بتأتأة وصراخ، فيندهشون من صوتى العالى، وينظرون بعيونهم ناحيتى، وكأنّهم يسألوننى : "عايز إيه يا أخرس؟!".

كانت جدّتى تشير إلى السّماء، تشرح لى بيديها أنَّ الربَّ قابع خلفها يتحكّم فى الكون ويملك كل شىء، ولا يجب أن نعترض على قدرته واختياره، فهو الذى وزّع الكلام والسمع والنظر والإحساس، وخلقنا بأشكالٍ وألوانٍ مختلفة لحكمة لا يفهمها إلا هو.

عاشت جدّتى معى سنينًا كثيرة بطفولتى، استطاعت بجدارة أن تعلّمنى معنى كل شىء، اليوم أتذكّر بعد رحيلها درسها الأخير الذى لم أفهمه وهى تحاول أن تمشى كالطير، هل كانت ترغب فى أن تعلّمنى التحليق؟، كانت تشير الى ا لسماء ثم تضع يديها فى وسطها كأنّها بأجنحة كالعصفور، تمشى على مشط قدميها وتغنّى!، كانت تشير الى الراديو وترفع يديها، وتُنزلهما بعد أن تضعهما تارة على وسطها أو تخبطهما ببعضهما البعض، حين عَلمتْ بأننى لم أفهم، رسمت رجلاً يمسك عصا بيديه، ويجلس أمامه رجال كثيرون يمسكون آلات للعزف، وتشير علىّ بأننّى يجب أن أكون مثل هذا الرجل الّذى يُدير فرقة العزف.

فى محاولتى لتهدئتها رسمت عصفوراً طائرًا فى السماء فاتحًا فمه، ويطلق أصواتًا هادئة كان يغنّى، قلت لها : "تاتاتا.. توت توت توت.. تاه تاه تاه"، لكنّها أشارت بيديها لأنظر لها وهى تتلوّى على الأرض، ثمّ تقوم واقفة وتربط وسطها، وتتمايل يمينًا وشمالاً، صفّقت بيديها ووضعت فمها بين كفّ يدها اليمنى، وحرّكت لسانها يمينًا ويسارًا، كانت مُبتهجةً عن آخرها، لكنّى أبدًا لم أفهم ماذا تعنى، أحضرت صوراً لإخوتى وهم يلبسون بدلاً كاملة، يمسكون فى أيديهم نساءهم بملابسهنّ البيضاء، أشارت علىّ بأنه حان الوقت لأضع يدى على صدر بنت جميلة مثل زوجة أخى، ثم حضنتنى ووضعت يديها فى يدى، سارت بى لآخر الحجرة وضحكت عن آخرها وهى تمسك يدى لأتحسّس صدرها،

ابتعدت عنها، وقلت بعيونى إنّها امرأة عجوز فاجرة رغم شعرها الأبيض وانحناء ظهرها، لم تهتم كانت تصرخ بأننّى يجب أن أسير مع امرأة باقى العمر، بشرط أن تفهم سر روحى ولغة أحاسيسى، هل كانت جدتى ترغب فى تزويجى؟!

فى اليوم التالى لدرسها الأخير ماتت، كانت جدّتى قد دربتنى على أنّ اللغة التى ينطق بها إخوتى وباقى الناس ليست هى اللغة الوحيدة أو المهمة التى خلقها الله، لأننّى فهمت من دروسها على مر السنين بأنّ أحاسيسنا وعيوننا أهمّ ألف مرة من اللسان والأذن، كانت تقول لى : "إنّ الله أنعم علىّ بنعمة الخرس لحبّه لى؛ لأنّه حمانى من أن أسمع أسوأ الأصوات، أو المعانى البالية المنتشرة بين البشر، عفانى من الرد على الإساءات التى يقذف بها الناس بعضهم بعضًا فى الطرقات"، لكنّى لم أفهم أبدًا حين أخرج للشارع وأنا طفل لماذا يضحك النّاس منّى، ويصرخون فى وجهى بملامحهم المتشنّجة، كان بعض الأطفال يضعون أيديهم على أنوفهم، ويحركّونها يمينًا وشمالاً ليغيظونى، فى البداية كنتُ أضحك عليهم، لكن جدّتى قالت : "إنّهم يعيروننى بلسانى المقطوع وأذنى المخرومة، أفهمتنى بأنه لا يجب أن أصاحب مثل هؤلاء الأولاد".

حين كان الأولاد يُعيروننى بقطع لسانى، والرجال على المقاهى يضحكون كنت أنظر الى السّماء حزينًا، وأعاتب الربّ الذى خلق كلّ شىء بحكمة وعدل، وحرمنى نعمة

النطق والسمع، وأسأله : "لماذا حرمتنى التعبير مثل باقى الناس عمّا تجيش به نفسى؟

كنت أعاتبه، وأعود للمنزل سريعًا؛ لأنه حرمنى سماع سخرية الناس لأرد عليهم، لأقول لهم كما قالت جدتى : "لا اعتراض على مشيئته".

مع ذلك كنتُ لا أفهم لماذا اختارنى دون خلق الله، وحرمنى النطق والسمع؟. لماذا لم تجد العرسة الصفراء غيرى لتلدغ فمى، وتخرم أذنى، وتصيبنى بهذه العاهة التى يعايرنى بها الناس؟!

أتذكّر اليوم بعد وفاتها وأنا وحيد بالمنزل بعد أن خرج إخوتى الكبار وأبى لعملهم، درسها الأخير وهى تحاول أن تطير على مشط قدميها لتفهمنى معنى البراح، هل كانت تريد منّى أن أتعلّم الطيران لأحلّق فوق الناس بالحارة والشارع، وأشاهد عجزهم عن رؤية مشهد القرية المكتملة؟!، كانت تريد أن توضّح لى أنّه يمكننى أن أتجاوز قصر نظر الناس إذا تعلّمت لغة الطيران.. ولماذا كانت تربط بين التحليق، والارتباط بامرأة جميلة تفهم لغة أحاسيسى؟، كانت تشير إلى، "لن تفهم شيئاً إلا إذا تعلّمت الطيران".

كانت ترغب فى أن تطير بروحى خارج جسمى؛ لأشاهد الناس خلف حوائط المنزل عرايا، وأرى النجّارين بالورش يصنعون موائد الطعام، والفلاحين بالمزارع يحصدون

القمح، والنساء يطبخن صوانى الطعام لأبنائهنَّ الجائعين، أراهم جميعًا فى لحظات سعادتهم وبهجتهم وأنا أطير فوق منازلهم وحقولهم، هل كانت ترغب فى تعليمى لغة طيران الروح وابتهاج الأحاسيس؟، لماذا ماتت قبل أن تعلّمنى أنّ لغة الروح أهمّ من لغة اللسان؟!

فى اليوم الذى اعتقدت أننّى فهمت درسها كنت أجلس وحدى بعد أن خرج إخوتى، فأتت لى وأنا خائف من الخروج للشارع حتى لا يضحك علىّ الناس، ويعيرونى بلسانى المقطوع وأذنى المخرومة، وحضنتنى، وربطت وسطها بقمطة أمى الحمراء، وأغلقت الحجرة علينا، شدّتنى لأرقص معها، كانت العصافير تغّرد فوقنا، والزهور مبتهجة فوق الحقول، والفلاحين والعمّال يغنّون وهم عائدون من عملهم، كنت أسمع صوت غنائهم جميعًا، وأرى بهجتهم وهم يدخلون لمنازلهم يحضنون أبناءهم وزوجاتهم، كانت جدتى سعيدة بتعليمى اللغة الجديدة التى أطلعتنى على كلًّ ما يجرى داخل النفوس والبيوت، دون احتياجٍ للنطق والسمع والنظر؛ لأنّى كنت أرى بأحاسيسى.

الميراث

ظلّت تخدم طوال عشرين عامًا والديها وإخوتها بحبّ لم يكن له نظير، كانت لها أخت واحدة تصغرها بثلاث سنوات، وثلاثة ذكور عشقوا طيبتها المنفطرة.

بعد أن بلغت السّادسة كانت تقوم من النوم تكنس المنزل، وتغسل الأطباق والحلل، وترتّب الأسرّة، وتنظّف ملابس إخوتها الذكور، كانت "عواطف" كالنسمة الطائرة فى منزلهم النظيف، كانت "هنية" أختها الصغيرة تساعدها، وتتساءل كيف تستطيع أن تقدّم كلّ هذا الحب الكبير لإخوتها، دون أن تتساءل ولو لمرة واحدة : لماذا دخل إخوتها المدارس، وحرِمت هى من تعلّم وفهم معانى الحروف ؟.

تتذكّر "عواطف"، وقبل أن تبلغ العاشرة أنّها كانت تلعب مع إخوتها الثلاثة لعبة "العسكر والحرامية" بالمنزل، وتختبئ فوق السّطح بعشش الفراخ، وتفاجئ إخوتها بالجلوس فى القمة دون أن يلمحها أحد، كانوا يعشقونها، فكيف لشخصٍ يحبّ كلّ هذا الحب أن يكرهه أحد؟!

تزوج إخوتها الذكور الثلاثة بالمنزل، بعد أن بنى الأب ثلاثة أدوار فوق الدور الأرضى لكلّ واحد منهم، كانت تعشق التراب الذى يمشى عليه "سيد" أخوها الكبير، كانت زوجات إخوتها يغرن منها، ويستغربن كيف لبنتٍ تعدّت العشرين من عمرها أن تستمر بكل هذه البراءة والعشق؟!،

كانت تغنّى وترقص بأفراح إخوتها لدرجة أذهلت الأقارب والجيران، كانت فرحتها تشعّ عليهم ببهجة لم يحسّوها فى حياتهم، وهى تقدّم أشهى المأكولات التى صنعتها بيدها وقلبها، أحبّ إخوتها طريقة استقبالها لأهل زوجاتهم، لن ينسوا أبدًا طيبة وبهجة أخت الزوج "عواطف".

خرجت "عواطف" من بيت أبيها لبيت زوجها الذى كتب عليها خلال ثلاثة أشهر، ثم عاد للبلاد العربية بعد أن ترك لها الاسم والظل.

انتقلت لـ شقة الزوج لتنعم بحياة رغدة، حُرمت من احتضان أمها وإخوتها وخدمتهم، لكنّها أبدًا لم تنسَ رائحة العيلة التى عشقتها بمنزل الوالد، وحين علمت بوفاة أمها حضرت للمنزل تلطم خدَّيها، وصرخت من حرمانها دفء وحنان الأم الطيبة.

عاش والدها وحيدًا بعد زواج أختها "تهانى" من "جبالى" المنجد، أصبح وحيدًا بشقته، بعد أن اهتمّ الأولاد الذكور بحياتهم وأبنائهم.

كانت "عواطف" تأتى إليه كل يوم تغسل ملابسه، وتعطيه العلاج، تطبخ له أشهى المأكولات، وتتركه آخر اليوم لتبيت بمنزل الزوج الذى تركها، وسافر لبلاد العرب ولم يعد، كان يرسل مئات الجنيهات كلّ شهر لتصرفها على طفلها الذى أنجبته، كانت زوجات إخوتها يفزعن من براءة عينها حين

يشاهدنها بشقّة الوالد؛ لأن قلبها المملوء حبًا يعمّق مشاعر الحسرة بداخلهن.

بعد مضى شهر على وفاة الأم فقدت الزوج الذى توفى، ودُفن بالغربة دون أن يترك لها أىّ دخل، ثمّ فقدت الأب الحنون بعد ثلاثة أشهر؛ لأنّه لم يتحمّل فراق الأم التى آمنت بالشيخ فأحبها وعشقها، وحافظت عليه وعلى أبنائه، وجعلت منهم نساءً ورجالاً يفخر بهم أمام أهل القرية جميعًا.

لم تكن "عواطف" تعرف كيف ستستمر حياتها، بعد أن فقدت أمها وزوجها وأباها دفعةً واحدة، لم تتمكّن من دفع إيجار شقّتها التى تعيش فيها مع طفلها، طلبت من إخوتها الذكور أن تنتقل لتعيش بشقة الأب بالدور الأرضى، حتى تتمكّن من تربية ابنها.

لكن إخوتها رفضوا اقتراحها دون أن يرِقّ قلبهم لغدر الدنيا بها، كانوا يردّدون ما تقوله زوجاتهم "وإحنا مالنا ومالك يا أختى، إحنا أحن عليك من ربنا؟!"، حين سألتهم "عواطف" عن سبب رفضهم، أجابوا جميعًا بأنَّ نصيبها الشرعى فى المنزل لا يعطيها الحق فى نقل العفش لشقة الأب، لم تفهم "عواطف" معنى نصيبها الشرعى الذى أعطى الحق لأخيها "سيد" فى الاستيلاء وحده على حيازة نصف الفدان الذى تركه الأب لهم جميعًا، وقالت له : "أين سأذهب بطفلى؟!"، قال : "يا عواطف الشقّة مقسومة طبقًا لشرع الله

علينا جميعًا، وأنتِ نصيبكِ لا يتعدّى نصف حجرة من حجرتها، سنؤجرها ونعطيك نصيبك!"

لم تفهم "عواطف" معنى كلامه، بحثت وحدها في الليلة الأخيرة بشقتها عن معنى شرع الله وحكمته، بأنّ للذكر ضعف حظ الأنثى في ميراث الأب.. كانت تقول : "إن الله لا يمكن أن يفرق بين الإخوان"، لم تصدّق أنّ هذه التفرقة إلهية، كانت تفهم أنّ الله عادلٌ ورحيم، وكانت تردّد كلمات الأب بأنّ على القادر أن يساعد المحتاج، وأنّه كان يعطيهم نصبيهم في لحوم المواسم بالتساوى، لم يفرق بينهم أبدًا، فكيف ينسبون للرب الرحيم هذا الكلام؟!

قررّت أن تنقل عفش المنزل في الصباح للشقة، كانت متأكدة أنّ إخوتها الذين أحبتهم، وعشقت التراب الذي ساروا عليه، ورقصت في أفراحهم جميعًا، وغسلت ملابسهم، وشاركتهم أحزانهم وأفراحهم، وساندتهم جميعًا لا يمكن أن يرفضوا طلبها، أو يحرموها من الشقة التى ستدارى لحمها وتستر حالها.

حين رفض إخوتها صباح اليوم التالى أن تدخل بعفش منزلها لشقة الأب، وأغلقوا الباب بأجسادهم، وقالوا لها : "سنؤجّر الشقة، ونقتسم إيجارها طبقاً لشريعة الله، لن تستولى على تركة الأبّ وحدك".

انهارت الفواصل والمعايير التى أعطت لـ "عواطف" خلال ثلاثين عاماً التميز والقدرة على الحب، صرخت فيهم : "أين سأذهب بعفش منزلى وطفلى الآن؟!، قالوا لها : "اذهبى لبيت أهل زوجك، فأعمام أولادك أولى بلحمهم، أنتِ لست منا الآن. أنت من عائلة زوجك وطفلك مُسمّى باسمهم، فهم أولى برعايته والحفاظ عليه"، قال أخوها "سيد"، بعد أن ربى ذقنه وأصبح شيخًا مُهاباً، ويزرع وحده أرض والدها لأنه الكبير : "يا عواطف يا أختى حين تموتين بعد العمر الطويل ستُدفنين بمدافن أهل زوجك. . هم أولى برعايتِك".

انهارت "عواطف"، وصرخت : "كيف يبرّرون قسوتهم باسم الشرع ليحرمونى الأمان؟، أين سأذهب بعفشى وابنى؟"، ظلّت ثلاث ساعات تهذى، وتتذكّر الماضى والحاضر، وتسخر من الحكمة التى تنشر القسوة بين الإخوة!

أخذها أولاد الحلال بالشارع، واستأجروا لها حجرة، ووضعوا فيها عفشها وقبل أن يتركوها مع طفلها، قالوا لها : "هذا حقّ إخوتك يا عواطف، فشرع الله وحقك الشرعى لا يعطيك الحقّ فى الاستيلاء وحدك على شقة الأب، فأنت بنت على ثلاثة أولاد ذكور وبنت أخرى، ونصيبك لا يتعدّى نصف حجرة فى الشقّة وسوف يعطونك نصيبك الشرعى فى إيجار الشقة بعد أن يستأجرها "حربى" الحدّاد من أول الشهر القادم".

قالت وهى تهذى : "كنت أخدمهم وألعب معهم وأرقص فى أفراحهم وأشاركهم البراءة، نحن أبناء امرأة واحدة، كيف حرمونى مشاعر الأخوة باسم الرب؟!"

ظلّت تهذى بكلامٍ حول عدل الله، وظلم الناس الذين وضعوا قوانين غبية للتفرقة والظلم بين البشر، ظلّت تهذى ثلاثة أيام، لكنّ الناس تجاهلوها، وخافوا منها حين قالت : "إنّ الله يحقد على النساء؛ لأنهنّ جميلات ولهنّ صدور نافرات، وتمتلئ أردافهنّ حبًا وعشقًا للحياة.. بينما الربّ يحبّ القسوة، وشنبات الرجال وقلوبهم الميتة، وإلا كيف استطاع إخوتى أن يحرمونى حقّى فى حجرات الشقة الفارغة التى عشت معهم فيها أشاركهم الأب والأم، والحب والحزن، والفرح والأمل؟."

كيف فرّق الله بينهم وبينها مع أنّ المنزل اشترى أرضه الشيخ "حسن"، وبناه أربعة أدوار من حر ماله، لم يعطِ له أحد مليمًا واحدًا من أبنائه الذكور، بل إنّه ساعدهم فى الزواج، فكيف يعيش بعد وفاته كلّ منهم فى الدور الذى بناه والدهم، ويطلبون ضعف نصيبها باسم الله؟!

سمعت النّاس فى الحارة لمدة ثلاثة أيام حكايات "عواطف" المجنونة وأسئلتها التى عجزت عن فهمهما أو الإجابة عنها، كانت تقول : "إنّ الحب الذى هو الله يملؤنا جميعًا ولا يجب أن يختلط بالحساب، والنّصيب المحدود، إنّ الحبّ الذى هو أسمى صفات الله لا يمكن أن يفرّق بين

الناس فيعطي كل شخص حقه مُقدّراً بالورقة والقلم، فكيف يجتمع الحب مع الحساب، ثمّ ندّعى بعد ذلك صلة الرحم وحبل الوداد، وسيرة العائلة؟!

أية إخوة هؤلاء إذا فقدوا المشاعر الطيبة والقدرة على الحبّ دون حساب، إنّ المشاعر المختلطة بحسابات الله حول نصيب كلّ من البنات والذكور سوف تنتج إخوة جاحدين لا يفهمون براح الحب وصلة الرحم، فالروابط الأسرية التى أعطينا فيها عمرنا لا يجب أن يحدّدها الله، ويقسّم مشاعرنا التى تدفّقت على مر السنين، ويطالبنا الناس فى النهاية باحترام الأنصبة بصرف النظر عمّا قدمناه من مشاعر لا تُقدّرها حساباتهم.

كان إخوتها الذكور يقولون لها : "يا عواطف إنّ ودّنا أهمّ من الحقوق، فمقابل أن تترك حقك، سوف نودّك ونأتى لك بالعشيان فى المواسم"، كانت تسخر منهم وتهذى، وتعدّد أمام حجرتها التى استأجرتها، وتقول : "العشيان مقابل الود" يا حكمة الربّ العادلة "الحبّ مقابل الجحود" يا عدالة الآلهة!!"

ظلّت أمام حجرتها ثلاثة أيام تهذى كالمجنونة ولم تغفل عينها، قبل أن تموت فى الليلة الثالثة جاء إخوتها الثلاثة، وطلّبوا منها أن توقف هذيانها بالحارة، وتوسّلوا إليها أن تغفر لهم جحودهم، وتوافق على الانتقال لشقة الأب وهم سيتنازلون لها عن حقّهم الشرعى؛ لأنها التى أعطت

دون حساب يجب تكريمها، بعد أن فهموا خطأهم، يطالبونها بالسّماح، لكنّها كانت قد فقدت القدرة على التمييز، فقامت مفزوعة بعد أن رأتهم يتوسّلون إليها، ويطلبون الغفران وهى الأخت المتسامحة الودودة التى عشقتهم جميعاً، وألقت بالجاز فوق رأسها، وأشعلت النار فى نفسها، احترق معها ابنها الصغير وورث حقها فى الشقة ومنزل الأب إخوتها الجاحدون.

معروف

يعشق ربّه ويعتبر سر وجوده فى الماء الذى يكفينا شر البلاوى، يتندّر على الفلاحين الذين يذهبون للجامع يوم الجمعة ليقابلوا الربّ هناك، ويقول بسخرية.. "الله فى كلّ مكان، لا يهمّه أن تجتمعوا بالجوامع لتصرخوا، فمقابلته لا تحتاج لكلّ هذا الاحتفال يا كفرة".

عاش ثلاثين عامًا بيننا مبتسمًا هادئًا لم يغضب أو يحزن أبدًا، حين يشتمه أو يُهينه أحد جيرانه ينظر إلى السماء، ويقول : "سامحه يا رب فهو لا يفهم".

حين يطالبون برأيه، كان يعلم كلّ الخبايا التى تجرى فى نفوس الأهل، دون أن يُطلعه أحد على الأحداث، يكفيه أن ينظر فى عين أحدهم ليفهم ما يدور بداخله وما سيقوله.. كيف أعطاه الربّ هذه القدرة الغريبة على فهم ما يجرى، وما سيحدث.. هل كان يُخاوى الجن؟!

كان "معروف" كباقى الفلاحين يمتلك عدّة قراريط وخمس جواميس، وعجل بقر وحمارتين وجملاً، لكنّ مواشيه كانت أسعد الحيوانات، وزرعه دائمًا مبتسمًا منتشيًا، لم تهزمه رياحٌ أبدًا أو فيضان للمياه.

كان زرعه النّضر مزهُوًا يعلن للجميع فى فخر أنّه نتاج كل الحكمة والجهد التى اصطفى بها الله "معروف"

الفقير الذى لم يخرج من القرية فى حياته إلا للسوق ليبيع محصوله، أو لشراء بقرة.

كان يُفاجأ به الفلاحون بعد العاشرة صباحًا فى أيامٍ كثيرة يرفع يديه للسماء، ولمدة عشر دقائق، يقف وسط حقله، يناجى السّماء دون أن يركع أو يسجد، كانت الناس تضحك منه أو عليه؛ لأنه المدّعى الإسلام يخالف قواعد الصلاة، كان يقول : "إنّ الصلاة لا تحتاج لنظافة اليد والقدمين والأرداف، المهم هو طهارة القلب، لا يهمّ السجود فالخشوع بالقلب يا جهلة!"

فى اليوم الذى ماتت جاموسته بالساقية، حاول الفلاحون جرها لتخرج حية، لكنّها أبت أن تعيش، نظر للناحية الغربية من السماء، وحلف بالطلاق بأنه لن يحزن لموتها، قال ناظرًا للسماء : "انزل يا وسخ، أنا عملت لك حاجة علشان تؤذينى وترمى جاموستى بالساقية؟، غيرت منها إكمنّى بأكلها وبحميها، وبعلفها كلّ يوم، وإنت مش لاقى حد تسَرقه أو تعذبه، إنت عارف أنّى سايب أتباعك يسرقونى، ويأخذوا شقى العيال علشان تتردع عن شرك، وفى الآخر ترمى الجاموسة بالساقية، وترفض خروجها سليمة لتحلب لنا طرف العشاء!!، بصق على الأرض ناحية غروب الشمس، وصرخ : "غور فى داهية واشبع بظلمك"، ثم نظر للجاموسة الفطسانة، وقال : "شوفى مين هيكفنك ويغسلك، ارتحت منك يا زوجة الشيطان، ترك الناس المذهولين وسار باتجاه منزله".

كل شئ فى منزله يُوضع بحكمة ونظام، فالمقطف والفأس بعد أن ينظّفهما يلقيهما بمكانهما، للحبال والمسامير، والحلقات والمقصّات، والمسلة والمبرد أماكن لم يغيرها أبدًا بزريبته النظيفة المرتبة، لم يخطئ أبدًا فى حساب كمية اللبن، أو موعد ولادة جاموسة، أو تَعشيرها.. كانت حكمته المروّعة سببًا فى احترام الناس، لكنه يقابل اندهاشهم بسخريته، وتعليقاته اللأذعة التى تبقيهم بالأرض خانعين؛ لأنّ عقله الجبار كان يطير فوقهم ليشاهدهم عرايا.

لم يفهم قط سر عَجَلَتهم فى الحياة أو الزراعة فى غير موعدها، وعدم ترييح الأرض عدة أسابيع، كان يقول كلّ زرعة بأوان، لازم المحصول يأخذ حقه علشان ينتج، حين وجد قمحه محروقًا قال للشامتين : "سوف يهبنى الله يوم القيامة بدلاً منه حقل فواكه، ونساء حور، وقناطيرًا من الفضّة يا كفرة !!".

حين لا يفهم النّاس معنى أفعاله يقول : "إنّ الله لا ينظر إلى وجوهنا، أو جيوبنا ليحكم علينا، إنه يريد عبادًا راضين بالمقسوم، لا تهمّ الصلاة والصوم إذا كان الجشع والغل يملأ قلوبنا".

فى أيامٍ كثيرة بنهار رمضان يجلس تحت شجر التوت، ويولّع ركية النار ويغسل جوزته، ويفطر بطبق الفول أو المش، دون أن يهتم بتندّر الناس عليه، كان يقول لهم : "ليس على المريض والمسافر حرج يا جهلة، وأنا دائمًا على

سفر!"، حين انتقده ابنه لجنونه، قال : "العمل أهمّ من الصلاة يا واد، فكيف سأعزق وأروى وأحش الزرع وأنا سأموت من العطش؟!، ليست هناك حكمة فى عطشى وجوعى ما دام ماؤه وطعامه متوافرًا.. المهم أن تعمل وتُشبع غرائزك، ليس هناك حكمة من حرمان أنفسنا من نعم الله !!".

كان لا يقطع زرعه ليطعم مواشيه أبدًا إلا بعد غياب الشمس؛ لأنّ الزرع بعد المغرب يكون "ريانًا" فتأكله المواشى وتتغذّى عليه، فينتقل لروحهم بكارته ونضارته، لكن أثناء النّهار والشمس تلفح شواشى الذرة، وتجعله دبلان يجب ألا نحشّه لإطعام مواشينا، وإلاّ أصبحنا كالحمير لا نميز بين البِكارة والموت.

كان إنتاج مواشيه من اللّحوم أو الألبان يفوق قدرتنا على الفهم، ويستهزئ بكلّ أهل الكفر، ويقول : "يا ولاد أم قويق يا كسالى، افهموا رحيق الحياة حتّى تنتجوا البهجة والخير الكثير".

فى الأيام الأخيرة كنت أشاهده على مدخل البلدة راكبًا حمارته ينظر بعمقٍ ناحية الحقول الواسعة المزروعة بالذرة والكرنب، وشوارع القرية المملوءة بالصبية والأطفال، فأعلم أنّه يرى أبعد من حدود قريتنا، كانت كلّ المشاكل التى تُعرض عليه يدرسها فى صمت، ثمّ يقول القول الفصل، لم يستعصِ عليه أىّ لغز ليحلّه.

حين مات "بركات الشايب"، وترك زوجة وثلاثة أبناء توفّيت أمهم، احتار الناس فى نصيب زوجة الأب، قال : "ترث البيت كاملاً؛ ليصبح لها مأوى بعد أن خدمتهم بحبٍ طوال ثلاثين عاماً"، سكت الأولاد الثلاثة، وتركوا المنزل دون حزنٍ لزوجة الأب التى علّمتهم الأمل، فتحمّلوا فقد أمهم فى رضا.

كانت البلدة تمتلئ بالرجال والنساء الشّوامخ أمثال "معروف"، كانت الحياة لها طعمٌ مختلف، استطاع هو وجيله أن يستصلحوا الأرض، ويقيموا الشوارع ويستأنسوا الحيوانات دون غدر، فهموا معانى ولغة الزرع والحيوانات وأحاسيس البشر، ووضعوا إجابات لكل الأسئلة التى لا نجد إجابة لها الآن، استطاعوا أن يُبهجونا بعد رحيلهم بتذكّر حكاياتهم وسخريتهم من الأقدار، لن أنسى اندهاشه من بعض المُلتحين وسخريته، حين قابل أحدهم على ناصية الحارة، فقال له : "إنّ وجهه القبيح يخيف الأطفال، وإنّ الله يغضب من رائحتهم النتنة رغم العطور الحجازية التى يضعونها"، صرخ فيهم حين اجتمع خمسة منهم حول الملتحى.. "انضفوا يا كفرة، رائحتكم تملأ الحارة عفونة !!"

لن ننسى جميعًا حين قابل امرأة غطّت وجهها قوله : "يا شيخة العرب.. ارفعى حجابكِ ولا تخافى، لأنّ الله يحبّ الجمال يا أم شعر أكرت!"

كان شيخ الجامع يتحاشاه؛ لأنّه يتندّر على جنة الشيخ، حين قابله بعد صلاة الجمعة ضحك فى وجهه، وقال : "إنّ الله ليس بهذه السذاجة لتبشرنا بجنة للجوعى والمكبوتين، الجنة فى روحنا وحياتنا، بينما النار التى تلوث بها سمعنا كلّ خطبة من صنع الكفرة أمثالك!!"

فى جلسات كثيرة ابتهج الفلاحون بتندّره على خطبة الجمعة، كان يتحدّى الشيخ بأسئلته، ويطالبه بالرد عليها فى خُطَبه، كان آخر تحد هو سؤاله عن حكمة الربّ العادل الذى يُدخل رجاله الأخيار فى الآخرة جنة مملوءة نساءً وحوريات وصبايا، ويحرم النساء الأخيار من التمتّع بالصبايا الزهور؟ كان يسأل الشيخ : "هل لزوجتك الطيبة المؤمنة أن تنعم فى الآخرة كلّ يومٍ بصبى جميلٍ حليق الذقن يُشبع فرجها الذى ذبل من تجاهلك وقسوتك، أم أنّ الرب نصير الرجال، بينما النساء ستظلّ جوارى فى الدنيا والآخرة؟!!"

حين ماتت زوجة "معروف" التى كانت تعشقه لم يتحمّل فراقها، فمات ضاحكًا بعد أسبوع.

وَرَقةُ المأذُون البَالِية

شجرة الجميز الشامخة التى تتوسّط جرن القرية تدهشنا بزهورها الناعمة الحمراء والبيضاء، تلقى بروائحها المنعشة ليل نهار على شوارع ومنازل القرية، فتحولنا لكائنات بشرية ننعم بالحبّ والدهشة والبكارة.

لم تكن أعراف الشجرة تهتمّ بصعودنا ونزولنا عليها كالأم الصّابرة السعيدة ببراءة أطفالها.

كانت قريتنا تعجّ بالبكارة، فيكفى مشاهدة عشرات الأبقار التى ترعى صباحًا على الطريق الزراعى ببقايا الزرع الشيطانى على حافة الترعة والأجران؛ لتفهم حجم الخير الوفير لأجيالٍ ورثت الحبّ والصبر، والعمل والرائحة الطيبة من شجرةَ الجمّيز الهائلة على مدخل القرية.

كانت البنت "سعاد" مملوءة نضارة يُلاحقها العُشّاق، تصاحب البنات والحبّ أينما سارت، لم ننسَ أبدًا لون ملابسها الحمراء والخضراء، والصفراء والبيضاء التى

أذهلت مشاعر "فتحى" فبات كالمجنون بحكاياتها وخطواتها، كانت خيالاته الأليلية والنهارية تتصورها وهى تتحدث وتأكل، وتنام وتستحم، سحرته أحاسيسها المرتوية من عطر ورد شجرة الجميز الشامخة، أقنع "فتحى" والديه بالذهاب لمنزل والد "سعاد" لخطبتها، فرح أهلها وباركوا الخطوبة؛ لأنّ البنت المتفجّرة كانت تعشق الفتى الطيب.

فى ليلة صحا فيها القمر، وغرّدت الطيور، ولحّنت الورود والأشجار أحلى ألحانها، لبت رائحة ورود شجرة الجميز أهل القرية تزَوّج "فتحى" و "سعاد".

كان يعمل بالنّهار بورش المطابع، ويعود سريعًا لمنزله ليعاشر "سعاد" بملابسها الفضية المملوءة أنوثة.

كان وجهها الصّبوح بالسوق يفتح الأبواب المغلقة، ويتمنّى الرجال معاشرتها، والتمتّع بسحرها للحظات، كانوا يحسدون "فتحى" على زواجه بامرأة تمنى الجميع أن يعيش معها ولو لليلة واحدة.

أنجبت "سعاد" بنتًا وولدًا كانا كالفجر والقمر، أعطت لهما كلّ الوقت لتملأهم بالحبّ والروائح التى ورثتها عن شجرة الجميز العتيقة.

فى غفلة من الزمن ومرور السنين كان "فتحى" المتفجّر ذكورة يحتاج لأحضانها بعد عودته كلّ ليلة لمعاشرتها، لكنّها كانت تنام فى حضن ولديها "كريم" و"أمينة"،

نست "سعاد" ألوانِ قمصان النوم التى كان "فتحى" يأتى بها كلّ عدة شهور ليفجّر أنوثتها على السرير، بالرغم من هجر "فتحى" لها؛ لكنّها كانت تشعّ برائحة أنوثتها على الشارع والسوق؛ ليتمناها الرّجال ولو لليلةٍ واحدة.

كلّما ذكّرها "فتحى" برائحة شجرة الجمّيز الشامخة تجاهلته رغم كلماتها الجميلة ورِقّتها الزائدة.

فى يومٍ جميلٍ جلس "فتحى" بالميكروباص، بعد خروجه من عمله بجوار فتاة صغيرة لم تتعدَّ العشرين، أحسّ برائحة أفخاذها اللينة تلهبه، فنظر لعينيها فوجدها منتشيةً، انتصب عن آخره، ضغطت عليه فقذف بالبنطلون، رغم أنّ الركاب بالعربة أحسّوا بالرائحة إلا أنّ أحدًا لم يهتم.

نزلت الفتاة عند المحطة الأخيرة دون أن تنظر له، فى اليوم التالى فوجئ بالبنت ذات العشرين ربيعًا بجواره بالميكروباص، تعرف عليها وواعدها لتقابله ليلاً بشقة أمه المغلقة، بشكلٍ أذهله وافقت "فوقية" فى الحال.

عاد للمنزل سعيدًا على غير عادته، بعد أن نام قيلولة العصر استحمّ، وترك "سعاد" بالشقّة تخدم ولديها؛ ليذهب لشقة أمه التى لم يفتحها منذ وفاتها، استقبل "فوقية" التى خلعت ملابسها وهى تنظر له وتقول : "مكسوف ولاّ إيه يا راجل.. اخلع هدومك مستنّى إيه"،

كانت منتشية لأنّ مجرى الحبّ واللّذة المفتوح بعينيها ينبع من رائحة شجرة الجميز العتيقة.

مرّ عام كامل و"فتحى" يعاشر "فوقية" كلّ يومٍ، لم تطلب منه قط الزواج، كانت تحتاجه لإشباع أنوثتها المتفجّرة، لم تسأله أبدًا عن موعد كتابة الورقة التى يسطّرها مأذون الناحية ليعلن العشق.. كانت تفهم أنّ معاشرة الرجال بدون الورقة تلهب وتفجّر أنوثتها !!.

أذهلت "فوقية" "فتحى"، عاد من جديد يستمتع بالحياة ورائحتها الطيبة، كانت تبرك فوقه وتغوص فيه، وتقول : "أنت الآن عبدى وأنا إله الحب.. هل يحتاج الاستمتاع بنعم الله لورقة شرعية؟!"، رفضت أن يكتب لها عند مأذون الناحية ورقة؛ لأنها أحبت أن تُعاشره كعشيقٍ وليس كزوج.. تساءل "فتحى" دوماً مع نفسه كيف يمكن لامرأة لم تبلغ العشرين أن تتمرد علينا، وتتفوق على فهمنا لتخلق من علاقة مؤقتة مشاعر متدفقة تساوى عمراً بأكمله؟!، يتحير المرء فى حساب حجمه، وتطهّر مجرى الحبّ الذى كان "فتحى" قد نساه بردم قنوات الودّ مع "سعاد".

فهمت الزوجة حال "فتحى"، لأنها التى عرفت معنى العشق، فأحسّت بزوجها الذى لم تعد قمصان نومها تشغل باله، يتجاهل كلماتها ونظراتها اللاذعة، اعتقدت الزوجة التى كانت تشعّ جمالاً برائحتها القوية أنّه مريض، فحكت لأختها وأمّها عن هجره تعجبتا من جهلها، وقالتا :

"إنهما نسيا معاشرة زوجيهما بعد مرور سنة من الزواج، لكنّ وجود الزوج مهم، فضلّه أفضل من ضلّ الحائط!"

لكن "سعاد" المتفجّرة عطشاً للمعاشرة؛ لأنّها المرأة التى امتلأت برائحة زهور شجرة الجميز العتيقة أتعبها فراق الزّوج، فكيف يمكن أن تنسى عطش صدرها النافر، وفرجها المفتوح للعشق حتى برزقها أجمل الولدان؟!، حين لمحت جارها المتشوّق لرائحتها يغازلها وهى عائدة من السوق ظُهر يومٍ خريفى انتابتها حالة من الصّمت، وانتشى فرجها فجأة، لمح الجار نشوتها فلامس كتفها حتّى لا تقع، واحتضنها فانهارت.

أخذها الجار لشقته ثلاث ساعات متواصلة يفجّرها من جديد، ويُخرج حرمانها على سريره الذى أتعبه دلال سعاد، كانت تتلذّذ تحته وتتوه تحت شجرة الجميز الشامخة وسط حقول الورد المحيطة بها من كلّ جانب دون أن تحسّ بأىّ ذنب، غادرت الشقة مسرعةً لشقّتها، دون الرد على عشق الجار الولهان.

حين عاد "فتحى" فى هذا اليوم وجدها سعيدة منتشية، وتلبس قميصها الأحمر وتُظهر حلمات نهديها متفجّرتين، فانقضّ عليها وعاشرها ثلاث ساعات متواصلة، دون أن يهتم بصراخ ابنيهما "كريم" و"أمينة"!!

عاشا عمراَ إضافياَ استمتعا فيه وهما يختلسان الوقت؛ لتعاشر "سعاد" جارها العازب، ويعاشر "فتحى" "فوقية" الفاجرة التى لم تهتمّ بورقة المأذون البالية.

لكنّ الجيران لم يتركوهما ينعمان بالحبّ والنشوة التى أوجدوها لأنفسهم؛ لأنهم أبناء شجرة الجميز التى كانت تفوح بالعطر على كلّ شوارع القرية القديمة.

امتلأت أحاديث النساء والرجال عن خيانات الزوج والزوجة وهم يشاهدون بهجتهما، كشف المستور فشاهد الجيران الزوج و"فوقية" يخرجان كل يوم من شقة أمّه، فازداد حديث الخيانات وعقاب الزانى والزانية، عرف الناس بمراقبتهم لـ "سعاد" قصّة الزوج العازب، اجتمع الأهل والجيران، وفرقوا بينهما بالمعروف بعد أن أحضروا المأذون ليكتب دليلاً على الفراق وانتهاء العلاقة، طُردت "سعاد" من الشقة بأولادها، وتركوا "فتحى" وحيدًا بالشقة بعد أن نفّذوا حكم الطلاق، حُرمت "سعاد" من جارها الذى كان يُفجّر أنوثتها، ويفتح لها نوافذ للحب لتجدّد علاقتها بـ "فتحى" بعد أن تفحمت.

أهمل "فتحى" عمله، زاد غيابه عن عمله شهرين متواصلين فطُرد منه، وحُرم من "فوقية" الفاجرة التى كانت تعشقه بالساعات بشقّة أمه مقابل كلماته الرقيقة والناعمة، كان لسانه الذى ينقط عسلاً قد جفّ بعد أن قُطعت شجرة الجميز فى يومٍ قائظ ليقيموا مكانها داراً للعبادة، وقتها حُرم

من "سعاد" و "فوقية" ورائحة ورد الجميز الذى كان يُغذِّى قناة الحب داخل روح النساء والرجال بالقرية.

بعد سنة من طلاق "سعاد" أشار الأهل على "فتحى" بالزواج من "سعدية" التى تقيم بالمنزل المجاور لشقته، خلال أسبوع جاءت "سعدية" لشقته، بعد أن كتب شيخ الناحية ورقة جديدة لإتمام مراسم الزواج، كانت "سعدية" امرأة جميلة هادئة الطباع تعلم أنَّ الحب يأتى، ويزداد بالمعاشرة فأعطت لـ "فتحى" كلّ ما تستطيع لتُسعده بالسرير والبيت.

كانت تنظف البيت وتمسحه، وتطبخ أشهى الأطعمة بالجنيهات القليلة التى يتركها لها، ومع كلّ ليلة تنتظر عودته ليفجر ذكورته الزائدة فى فرجها، أنجبت ثلاثة أطفال، وانشغلت هى الأخرى عنه!

عاد "فتحى" مواظباً على عمله، لم يعد يهتم بصدر وفرج "سعدية" المفتوحين والراغبين فى العشق، ويحتاجان لرجلٍ يفجّرهما، ويرويهما قبل أن يتفحّما.

عاد الجار لينظر لـ "سعدية" نظرةً أذهلتها، وفجّرته بعد أن هجرها زوجها، وفى يومٍ ربيعى وهو عائد من عمله، انتظر "فتحى" "فوقية" ليجلس بجوارها فى الميكروباص، فى هذا اليوم اندهشت من وجوده، لكنّها أحست برائحته،

فجلست بجواره لتلهبه، وضغطت عليه بيديها فقذف، لم يشم الركاب كالعادة رائحتهما رغم أنها بلّلت بنطلونه!

كان الجار العازب ينتظر "سعدية" كلّ عدة أيام بعد خروج "فتحى" لعمله ليعاشرها بالساعات، واستطاعت بهذه العلاقة أن تفتح شرايين جديدة للحبّ مع "فتحى" الذى كان يعود من عمله الجديد بعد معاشرة "فوقية"، ليجدها بقميص النوم الذ ى كانت تعاشر به جاره فينقضّ عليها ليفجّرها ساعات جديدة أذهلت "سعدية" وجدّدت حياتها.

خلال هذه الفترة انزوت "سعاد"، والتى كانت رائحة أنوثتها تملأ الحارة والسوق بالحبّ فى بيت والدها، بعد أن هجرها الجار القديم، تفحمت مفاتنها مع الحرمان والإهمال.

كان الأهل يواسونها لتنتظر رحمة ربها، فهو كفيلٌ بأن يرزقها بزوجٍ ثانٍ أفضل من "فتحى"، ليتزوجها لتبدأ حياتها من جديد، كانت لا تفهم لماذا يحتاج تدفّق مشاعرها وتفجيرها لرجل يُسمّى "مأذونًا" ليكتب ورقة تُسمّى "عقد زواج"؟!، وتهلوس وتهذى وتتساءل عن الحكمة فى تمكين "فتحى" من الزواج بـ "سعدية" بورقة مأذون جديدة، ومعاشرة "فوقية" الفاجرة بدون ورقة، وهى تُحرم من إشباع غرائزها التى أنعم بها الله عليها بورقة أو بدونها؟، كانت أمّها تقول لها : "يا بت عيب اختشى دى حكمة ربنا، والستات ناقصين عقل ودين، وعيب الأسئلة دى يا فاجرة".

قبل هروبها من منزل أمها كانت تقول : "لماذا لم يسمح ربنا الرحيم بحقنا بالزواج بأربعة مثل الرجال؟، هل غرائزهم أقوى من غرائزنا؟، لماذا كُتب علينا أن نتحمّل ونكبت مشاعرنا، بينما الرجال يستطيعون فى أىّ وقت أن يفجّروا ذكورتهم بحماية الشرع والأهل؟"، فشلت الأم وزوجات الإخوة الإجابة عن تساؤلاتها، فتركت "كريم" و "أمينة" لأمها وهربت، يحكى الناس الذين شاهدوها بالإسكندرية منذ شهورٍ أنّها تعمل بأحد الملاهى؛ لتتمكّن كلّ يومٍ من معاشرة رجلٍ مختلف يُشبع غرائزها ويُفجّر أنوثتها؛ لأنّ النساء اللاتى ظلّلتهن رائحة وبهجة شجرة الجميز الشامخة لا يمكن لرائحة أنوثتهنّ أن تنتظر المأذون؛ ليأذن لهنّ بورقته البالية بتفجير أنوثتهنّ لتشعّ علينا الحبّ والسعادة !!

الحُبّ الإلهى

يعتقدون أنّ الحبّ الإلهى سوف ينزل عليهم، وهم يتراقصون أمام ضريح الشيخ ويصرخون.. "بركاتك يا مولانا.. يا حبيبنا".

نادى المنشد معهم على النّبى ليعود، ويحمى أبناءه ويرضى عنهم، ظلّوا يعقدون حلقات الذكر الأسبوعية بمنزل الشيخ "عبد التواب" بعد صلاة العشاء يذكرون الله حتى قبل الفجر، دون أن يهتمّوا بالتطورات التى غيّرت حياتنا.

حلقة الذكر يقودها "كيلانى"، و "بحبح"، و "مرسى"، و "حجاج"، و "توبة" الجزماتى، والآخرون من حوارى وشوارع البلدة المختلفة دون أن يسأل أحدهم عن مهن أو أعمار المبتهلين؛ لأنّ ما يجمعهم ذكر الله فى نهاية اليوم الأخير من كل أسبوع، لا يجب أن يفرقهم نوع الناس وجنسهم.. فالمؤمن فقط يمتن بعظمة وقدرة الخالق.

عندما تشاهدهم خارج حلقة الذّكر فى يومياتهم العادية تجدهم يناكفون المارة، ويبتهجون بالدنيا مثلنا، والشىء الغريب أنّ معظم رواد الحلقة لم يكونوا يصلّون صلاتنا المعروفة بالجوامع، كانوا يؤكّدون بأنّ الإيمان بالقلب، وأنّ المريدين يجب أن يتحرروا ويتخلّصوا من كل حوائج الدنيا، يعلنون دون خوف على المقهى، أو بمجالس العامّة، أو

بعملهم أنّ الصلاة التى هى عماد الدين ليست مهمة بالنسبة للمؤمن، كان صوت "بحبح" المغنواتى فى إنشاده يأخذك للسماء، ويطوف بك لتشاهد بنفسك الحقول والغابات والمدن البعيدة، وسعى الناس بحبٍ لجلب الرزق، بعد كل نشيد يجلس وسط الذاكرين يُدخِّن الحشيش، ويشرب الشاى والينسون، ثم تأتيه الجلالة فيقوم مرة أخرى؛ لينشد مع الذاكرين نشيد التوبة.. يا رب توبة.. ويذوب مع الراقصين فى تأوّهاته وطلباته من الله الغفران، وقبول العبد الفقير فى ملكوت رحمته، يُنهى إنشاده بملحمة "أيوب" المصرى الذى ابتلاه الربّ بكلّ المصائب؛ لكنه أبدًا لم يتذمّر أو يحزن.

كان الشيخ "كيلانى" يصف المواظبين على الصلوات الخمس بالجوامع بـ "الجهلة"؛ لأن بيوت الله داخلنا، ولا يحتاج المؤمن إلى الاغتسال، أو القيام والركوع لأنّ القلب الطاهر نظيف دائمًا!، ويؤكد أنّ الخشوع لا يأتى بتلاوة بعض الفقرات من أىّ كتابٍ لأنّه يملؤنا حين نتأمل عيون إحدى النسوة التى تحتاج للعشق، أو بسماع براءة وتعليقات الأطفال، أو أصوات العصافير فى الصّباح، أو بشم رائحة بعض الأشجار والمزروعات فى أيام الربيع، لكنه يؤكّد فى نهاية حديثه بأنّ الخشوع وحب الله يحتاج لتُحرّر روحنا، لنصبح كالنسور المحلّقة فى السماء لفهم قدرته فيملأنا حب الله.

كان أغلبهم يترك نساءه تجلس وسطنا بالذكر متبرجات يُظهرن مفاتن أجسادهن؛ لأن الله أنعم عليهنّ بتلك

النعم، ولا يجب أن تُخفَى نعمته، وإلا كانت فاسقة، ولا تستحقّ الدخول فى ملكوته!

حين يشاهد "مرسى" المنجد عمّى "صليب" يحضنه ويقبله، ولا يتقزز من رائحته، كان يأكل طعامه رغم الزيوت التى تملأ طعامه، هل لم يكن يحسّ أو يشم، أو يسمع حكاوى الناس بالحارة حول العفن الذى يملأ بيت "صليب" المسيحى؛ لأنه لا يستحمّ بعد معاشرة زوجته كل أسبوع؟!

أدهشتنا اللغة التى يتحدثون بها، والقيم التى يحكمون بها على الأمور، المهم أن تتسامح، فكلّما أصابتك الدنيا اعلم أنّ حب الله يزداد، وأنّك دون العالمين ستحصل على العشق.

فى لحظات التجلّى يطلقون أرواحهم لتعيش باستمتاع وصفاء ليفهموا سر الحياة والخلق، اندهشوا من طريقة عيشنا، وطلباتنا المتكررة بزيادة الرزق، مع أنّ الله المعطى لا يحبّ عباده الجشعين فهو يعلم من أحقّ بالرحمة، ولا يجوز علينا إلا طلب المغفرة والامتنان بنعمته.

يثور الناس على "حجّاج" الفلاح الذى يترك أرضه ترتاح شهرين فى العام، ويحرثها أكثر من مرة ويسقيها فى موعدها، ويزرعها دون سماد أو مبيد، ورغم ذلك كانت تنتج أجمل وأطعم الخضر، لم يقاوم أبدًا الدودة أو سرقة البدو لأرضه، كان يتركهم يأخذون رزقهم، ويقول : "الباقى منهم يكفينى وأسرتى، فربى هو ربّ الدود واللصّوص، و يجب ألا

نمنعهم أو نقتلهم، لأنّ لهم نصيباً فى إنتاجنا!"، كان ناتج محصوله دائمًا يفوق ناتج محصول أرضنا رغم شقائنا، ومقاومتنا لكلّ أنواع الآفات الحشرية، والسرقات فى اللّيالى الشتوية، كان يفرح ويقول : "إنّ ما يتبقّى من اللصوص يطرح فيه الله البركة، ويعود علينا بالخير الوفير".

كان "توبة" الجزماتى طوال النهار ينام على ماكينته وشاكوشه يصلح جزم وشباشب الناس، ويلمّع أحذية الأفندية منهم، لم يناقشهم أبدًا فى المقابل، حين يسأله أحد الناس : "عايز كام يا عم توبة؟"، يقول : "اللّى تدفعه"، حين يكرر أحدهم السؤال يقول : "عايز أمانك وسلامتك، وستر ربنا علينا جميعًا".

حين يشاهد "نوسة" الخضرية تدخل محلّه يترك الشاكوش، ويلفّ سيجارة حشيش، ويُجلسها على كرسيه الجلد، ويظلّ يتحدث معها ويستمتع بقدرة الخالق على إبداع امرأة بهذا الجمال.

فأية يد جميلة أبدعت نهود امرأة بهذا الاتزان؟!، يسأل النّاس بالحارة ألا يستحقّ خالق العباد الحبّ؛ لأنه أبدع قدم امرأة بهذا الامتلاء والصّفاء والود؟! ويتلمّس بطن قدميها حتّى أفخاذها، وهو يضع شبشبها القديم بين أصابع قدميها.

كانت "نوسة" تجلس أكثر من ساعة بمحلّه، بعد أن تغلق محلها لتسمع أجمل الأغانى، وأناشيد المديح والعشق.

لماذا اختلفت أحاسيس هؤلاء المتصوفين أبناء الشيخ "عبد التواب" عنّا؟، لماذا كانوا يلقّبون أنفسهم وهم الغرباء بالأخ والأب والعم؟، كان لكل لقبٍ درجة فى الزهد وعشق الحياة التى يحيونها.. حين سألتهم عن سبب هذا العشق ردّ "مرسى" المنجد : "إنّه الاستمتاع بكل نفسٍ فى الحياة، الاستمتاع بشرب الماء من القلة.. الاستحمام.. التبول.. الأكل.. استقبال الشمس والنهار والصّبح والناس.. ودقّ المسامير بالأخشاب، عزق الأرض بالفأس، وضع الخبز بالفرن.. السعادة بالقلب المضئ بحبه، وشكره على خلقنا، وإنعامه علينا بكلّ هذه النعم : التذوق.. الحس.. الشم.. المشى.. النوم.. الفجر.. العمل.

كانت "أمّ هنيدى" تخرج للشارع صارخة فى السماء، وتلعن أيامها التى رزقت بابنٍ أعمى وآخر أخرس، فيحضنها الشيخ "عبد التواب" بحبٍ أخوىّ، ويقول لها : "لا تكفرى بالله يا أمّ هنيدى له حكمة فى خلقه"، كانت تصرخ : "الأعمى لا يرانى ويحتاجنى لأسحبه للحمام، والأخرس لا يفهمنى ويحتاج أن أتحدّث بيدى وعينى كالأراجوز، طهِقت يا عالم.. طهِقت يا ربّ.. ارحمنى حرام!!"

كان الشيخ "عبد التواب" يُطبطب على ظهرها، ويقول للسّماء بقلبه وبصوتٍ مسموع : "باسم كلّ المؤمنين..

بجبروتك.. وحبك.. ارحمها واغفر لها ذنبها.. هى لا تعرف عزّتك وحبك.. هى لا تعرف قيمة أن تميزها عن نساء الأرض لتُنجب الأعمى والأخرس، فأنت الذى علّمتنا الكلام، وخلقت نور الشمس وضوء القمر سوف ترحمها بحكمتك، ويصرخ فى السماء : "اغفر لها جهلها يا رب".

يدعوها لتشكره على نعمته، بعد ثوانٍ تتحوّل "أمّ هنيدى" المفزوعة لملاك حنون، تشكر ربها وتطلب منه الغفران على خطيئتها، فيبتهج الشارع بقدرة الشيخ على طرد الشيطان الذى لم يكن له مكان فى مجلسهم أو حضورهم.

يقول لها : "النّور الذى بقلب ابنك الأعمى يكفى لإضاءة شوارع الكفر ملايين السنين، والإحساس الذى يملأ قلب الأخرس يمكن أن يؤلّف الآلاف المؤلفة من الكتب، والكلمات يعجز العلم البشرى عن فهمها"، تشكر أمّ هنيدى الربّ على نعمته التى أنعم بها عليها، وميزها دون نساء الكفر؛ لتنجب المحرومين من النظر والعاجزين عن النطق !!

مازال هؤلاء الطيبون يعيشون وسطنا رغم اختفاء كراماتهم، مازال أبناء وأحفاد الشيخ "عبد التواب" يقيمون الذّكر، ويحتفلون كلّ نهاية شهر بصور الله الجميلة التى نخبئها بقلوبنا، وبالنور الذى يملأ روحنا ولا نراه، مازالوا لا يصلّون مثلنا الصلوات الخمس، ولا يكرّرون آلاف الجمل فى تلك الصلوات دون معنى، أو فهم لقدرته على العطاء والحبّ الذى زرعه بقلوبنا دون مقابل، مازالوا يفطرون نهار رمضان،

ويدخنون الحشيش، ويسعدون لإظهار زوجاتهم مفاتنهنّ وصدورهنّ، وشعورهنّ الجميلة التى هى أبدع ما خلق الله!

مازلوا يعيشون بيننا، بينما الكلاب تنهش لحومنا، وتتاجر فى المتبقّى منا دون أن ترهبهم أحاديث نبوية أو آيات قرآنية، مازالوا يعيشون آمنين وتمتلئ قلوبهم بالتسامح بالرغم من أنّهم لم يدخلوا أبدًا مساجد، بينما التجار ملأوا الحوارى بزوايا وجوامع، وامتطوا عمم الإمامة بعد أن نُزعت من قلوبهم الرحمة، مازالوا يعيشون وسط الحقول والورش وبين الحوارى والمواشى والشجر، ومازال التجّار ينعمون بالصّلاة فى المساجد الباهرة وحج البيت الحرام، مازالوا يعيشون آمنين سعداء محبين، ومحبوبين يُدْفئهم الحبّ الروحى دون أن يقيموا فروض الله، ومازال التجّار يستمتعون بالغل، ومخالفة شريعة الله والإنسانية باسم الدين !!

الشَّيخ طه

"حَد عايز حاجة من ربّنا؟" كانت هذه الصرخة الأخيرة التى ألقاها الشيخ "طه" فى وجه الأهالى المجتمعين حوله وهو يقف على هضبة مصرف المجارى بنهاية القرية، حين لم يردّ الناس عليه، ونظروا فى ذهول للسماء لتهديه، ألقى بنفسه فى المصرف الذى يعلم الجميع أنَّ رائحة مجاريه كفيلة بالقتل!، بعد ساعتين من البحث عنه تحت الخرا أخرجوا جثّته الميتة.

كان الشيخ "طه" شابًا يافعًا مملوءًا حيوية، مات أبوه وهو لم يبلغ العاشرة، أخرجته أمّه من المدرسة هو وأخوه "على" الذى يَكْبره بثلاثة أعوام، وعَملا بورش الخراطة التى تملأ شوارع البلدة، كانا يكسبان أكثر من عشرين جنيهاً يومياً.

كان الشيخ التّقى لا يعرف إلاّ طريق المنزل والورشة والجامع، رغم صغر سنه يمكث بالجامع بعد صلاة العصر لبعد العشاء يجود القرآن، ويحفظ الأحاديث النبوية، أحيانًا كثيرة يخرج للمدافن يقرأ القرآن على الميتين دون أجر.

عاشت أسرته خمس سنوات مستورة بعد وفاة الوالد، فتحت الدنيا لهم أبواب السعادة، كانت اللّحوم والأسماك لا تنقطع من على مائدتهم، ظلّت الأم سعيدة بابنيها العاملين، فتغسل ملابسهما وتنشرها كل يوم؛ لتملأ

سطح البيت برائحة شقاهم المُبهِجة، تذهب بهما للأهل أيام الأجازات، تدّخر من مكاسبهما للزمن وليوم عُرسهما، وزواجهما الاثنين بليلة واحدة.

بعد مرور خمس سنوات على أيام الرّغد والحب الذى ملأ منزلهم الصّغير ذا الحجرات الثلاث أصيبت الأم فجأة بالفشل الكلوى، طار المبلغ المدّخر على غسيل الكلى والعلاج، وبعد ثلاثة أشهر من مرض الأم قطعت المخرطة يد الابن الأكبر، عجز عن العمل، أصبح الشيخ "طه" هو مصدر الدخل الوحيد للأسرة.

ظل أخوه الكبير يصرخ ليلاً؛ لأن عملية بتر اليد فشلت لترك الطبيب المعالج بعض الشرايين دون كَىّ، كان الأخ ينزف دمًا كثيراَ يملأ مرتبة السرير، ولا ينام إلا بعد أن يكون جسمه قد نزف دمًا يكفى لرىّ حوضين ملوخية بأراضى الفلاّحين!، استدانت الأسرة من صاحب المخرطة والحاج "منشاوى" الذى اشترى القيراطين اللذين ورثاهما عن والديهما.

سنوات كافح فيها الشيخ "طه" ولم يتذمّر، شارك أقرانه بالعمل وأبناء أصحاب الورش الأخرى الذين كانوا فى عمره بهجتهم بذكريات يوم الإجازة، كانوا يحكون عن النساء والبنات اللائى ينوون الزواج منهنّ، وتجهيز الأسر لأفراحهم دون أن يحقد ولو مرة واحدة عليهم، كان سعيدًا وروحه المبهجة دائمًا ما تجعله أوّل المدعوين فى أفراح القرية ومناسباتها السّعيدة.

حين بلغ الشيخ "طه" من العمر ثلاثين عامًا، وتزوّج الشباب الذين يقاربونه فى العمر وأنجبوا الأطفال، لم يعترض على مشيئة الله بالرغم من أنّه كان يعمل مثلهم وأكثر، لأنّه لم يتمكّن من توفير ثمن جهاز العروسة أو مصاريف الفرح، كان يقول : "بكره هتُفرج وأكيد ربنا مش هينسانا"، كان مشغولاً بمرض أمه وأخيه، وتوفير ثمن العلاج والذهاب للدكاترة، كان يقول : "غدًا ستُفرج، الله لا ينسى عباده الممتنّين".

لم يكن يترك فرضًا أو صلاة إلا ويقوم بأدائها؛ لأنه يتعشّم فى قدرة الرب على أن يكفيه شر البلاوى، فهو لم يرتكب أبدًا معصية أو يُغضبه بأفعاله، كان محبًا ومحبوبًا من أهل البلدة، ومطيعًا لرؤسائه وصاحب الورشة فى العمل لدرجة أذهلت الجميع، الذين تساءلوا: كيف لشابٍ بهذا الرضا والطاعة أن تغدر به الدنيا، ولا يعطيه القدر حقّه فى الحياة، وتكوين الأسرة كباقى خلق الله؟!

لم يشكّ الشيخ "طه" المطيع قط، أو يغضب من حكمة الربّ العزيز بحرمانه إشباع غرائزه مثل باقى خلق الله، لدرجة أنّ أمه كلما رأته كانت تقول : "يا صبر أيوب فجرنا من تانى"، لكن أيوب مات بعد أن ترك كل البلاوى والمصائب لأسرة الشيخ "طه" الفقير الذى كانت تأتيه النساء بأحلامه؛ لتوقظه وتفجّر قضيبه، فيصحو من النوم مبتلاً بقذفه، حزينًا على فعل المنكر دون إرادته!

ظهرت التحوّلات على الشيخ "طه" فجأة بعد حضور "حسانين" تاجر الأراضى للقرية وسط جمعٍ كبيرٍ من الناس، جلس فى الجرن بجوار شيخ الجامع، والحاجِّ "منشاوى" الذى أكّد عن قدرة "حسانين" الهائلة فى الحبّ والعطف على الأهالى، دعا الناس لدعمه ومساندته بانتخابات البرلمان لأنّه خير من منافسيه، وابن القرية البار الذى ساعد الجميع وسيحوّل حياتهم لجنة، أمسك شيخ الجامع الميكروفون وصرخ بالأهالى : "من يحتاج لأى شىء أو مساعدة يذهب لابننا "حسانين"، سوف يجعل الله فى وجوده سببًا لحل كلّ المشاكل، حين افترق الجمع اقترب "طه" من "حسانين"، وطلب منه مساعدته لعلاج أخيه وأمّه وإيجاد عملٍ ثابتٍ له، ليتمكّن من الزواج.. قال "حسانين" لمساعده بصوتٍ مرتفعٍ ليَسمع باقى الحاضرين : "شوف طلبات الشيخ طه حالاً"، طلب مقابلته بمنزله بالغد ليحل مشكلته.

فى هذا اليوم لم يفهم الشيخ "طه" من أين أتى حسانين بكلّ هذه الأموال؟، ولماذا اصطفاه الله بكلّ هذا الرزق رغم أنّه كان ولدًا عاقًا، ولم يسمع عنه أحد أنه قدَّم الخير لأحد؟!، كيف تبدّلت الحكايات عنه وشهد العمدة وشيخ الجامع والحاج "منشاوى"، وأصحاب المخراط بحبه للبلد وإيمانه بحقوقهم؟!، حين أتعبه التفكير نام ليستيقظ فى الصباح، ويذهب لمنزل "حسانين" الذى تجمّع فيه الشيوخ والضباط والفتيات المعطرة اللائى يرتدين ملابس مفتوحة الصدر، قابل "طه" مساعد "حسانين"، ذكّره بوعده فقال له :

"انتظر شويه يا شيخ طه"، ظلّ ساعتين.. ثلاثاً.. أربعاً وهو يشاهد اللّحوم المشوية تُقدّم لرواد "حسانين"، واهتمام ودلال النّساء المتعطّرات، ومداعبة ضيوفه فى فُجر، بينما تجاهل الجميع حضوره، فقام وحاول أن يدخل حجرة "حسانين"، صرخ بالمخبرين الذين يحيطون بالحجرة ليحدّث "حسانين" ابن بلدته وهو الذى طلب منه بالأمس أن يحضر لمنزله لمساعدته، لكنّ المخبرين تنكروا له، وقالوا : "عدّى بكرة يا شيخ "طه" الباشا مش فاضى النهاردة عنده رئيس الحزب.. مش معقول هيسيبه ويقابلك"، حين رفض تجاهلهم حاولوا إسكاته، فصرخ قائلاً : "تركت عملى لأستجدى عطفكم يا كفرة، هل أمثالكم يتكفّلون بعلاج أمى؟!".. نظروا إليه بريبة لأنه يطالب المساعدة دون توسّل، بعد أن رفع صوته عليهم مرة أخرى اتهموه بمعاداة "حسانين"، اعتبروه من أنصار خصومه، فأشبعوه ضرباً وطردوه.

لم يفهم "طه" ما حدث، لكنّه ظلّ يتساءل كيف لـ "حسانين" الفاشل بعد أن أغلق ورشته الصّغيرة، وذهب للمدينة، وصادق التجّار والجهلة يعود ليملك نصف القرية؟!، كان الجميع يعلم أنّ هذه الأموال ليست من مكاسب ورشة الخراطة، لكنّ الأهالى كانوا مُغيبين بهدايا "حسانين" وخدماته، يذكرونه دائمًا بالخير، ظلّ يتساءل بعد طرده فى هذا اليوم : كيف لخالق الكون أن يُنعم على اللصّوص بالمال والنساء والخير الوفير، بينما هو العبد المطيع لا يستطيع توفير ثمن الدّواء أو الغذاء رغم شقاه وعرقه كل يوم؟!

تغيّرت حياة "طه"، فخاصم الجامع ولم يركع فى السنتين الأخيرتين قبل حادث المصرف ركعةً واحدة، عرف طريق المقاهى ولعب الدومينو، ومعاشرة الرجال السّاخطين على الحال وضيق الرزق، حين يعود من المقهى وحيدًا يناجى ربّه، ويسأله عن توزيعه غير العادل للرزق؛ ليعطى للتجار واللصوص الخير الوفير، بينما أغلب العباد تنعم فى الفقر!، كانت أسئلته تجد سخرية ودهشة الأهل، بعض من تحسّسوا طيبته دعوا له بالهداية.

كان يقف وسط الجرن والشوارع، بعد أن هجر العمل ينظر للسّماء، ويسخر من فائدة التعبد والتقرب من ملكوته، وتجاهُل الرب القادر العادل دعوات الأهل بالستر، ويصرخ فى السماء مستهزئًا : "هل لم تسمع دعوتهم فى صلاة الجمعة الماضية لتزيد رزقهم؟.. وإذا كنت سمعت دعوتهم ولم تستجب، فلماذا جحودك؟! هل لأنّهم فقراء؟!، هل دعوات "حسانين" النصّاب واللّص مُستجابة، ودعوات عبادك المرضى الطيبين غير مُستجابة؟! يحتضنه الرجال لإسكاته، لكنّه ينظر لعرش السماء، ويقول : "أهذا هو العدل يا مالك السماء والأرض؟"

كان يتهّم أهل القرية بالجهل؛ لأنّهم يدعون الربّ لتلبية احتياجاتهم، دون أن ينفّذ ولو لمرة واحدة لأحد طلباته، مع ذلك يستمر الناس فى التعبد والدعوات رغم تجاهله.. كان يقول لأصدقائه على المقهى : أتعتقدون أنّ

خالق السّماء يجلس فى عرشه ويرانا، وهو لم يؤكّد لنا ولو لمرة واحدة حكمتَه، أو عدله، أو وجوده؟!

وفى الأيام الأخيرة التى اضطرت الأم والأخ المريض للتسوّل كى لا يموتا من الجوع، كان الشيخ "طه" يسهر طوال الليل يستجدى عدالة السماء بالنظر إليهم، والناس تندهش من قدرته على تحدّى السماء؛ لكنّهم أبدًا لم يساعدوه ليفهم حكمة هذا الظّلم، أو يجيبوه عن أسئلته.

فى اليوم الأخير الذى دخل الجامع خلسة من الشباك الجانبى بعد أن كسر زجاجه، صرخ بالميكرفون فى الناس بالتجمّع عند هضبة مصرف المجارى؛ ليحصلوا على نصيبهم من أجولة الدقيق واللّحوم التى يوزعها الرب، خرج أهل القرية جميعًا ليجتمعوا عند الهضبة، فوجئوا بالشيخ "طه" يقف عاريًا كما ولدته أمه، ويقول بصوت عال نداءه الأخير : " حد عايز حاجة من ربّنا؟!"

ذُهل الناس، وقالوا له : "انزل يا شيخ طه حرام عليك"، لكنّه كرّر طلبه : "حد عايز حاجة من ربنا؟!"، كرروا توسلاتهم لينزل وهم سيتكّفلون بعلاج أمه وأخيه، وتزويجه، فألقى بنفسه فى مصرف المجارى ليموت دون أن يُنجّيه الربّ الرحيم!!

الفقرِى

الجاموسة الوحيدة التى كان يمتلكها نزلت للترعة الكبيرة لتشرب فسحبها التيار، رغم صراخه ومحاولات جيرانه نجدتها، وجرها بالحبال كى لا تغرق إلاّ أنّها خرجت من الترعة فطسانة.

رغم أنّ الناس قالوا له يمكنك أن تسلخ جلدها لتنعيه كتعويض عن خسارتك الكبيرة، ضحك فى وجوههم، وقال : "الجمل راح، ولم يبقَ إلا لم القراض"، حلّ حبلها من قرونها، وسار بعرض الطريق!

تعالت الصيحات من بين الحقول تُواسيه : "يعوّض عليك يا عمّ مبروك، يا حول الله"، إلا أنه كان يضحك، ويقول : "راحت فى ستّين داهية.. هيا جت على الجاموسة.. صاحب العوض موجود".

حين قابلته زوجته بالقرب من المنزل على أول الحارة بعد أن سمعت الخبر بالصراخ ، جرى وراءها بالحبل، وقال لها : "اسكتى يا مرة خدت الشر وغارت، إحنا كنا عاملين إيه بالجاموسة، ربنا أخذها زى ما جابها".

كان يكلّم نفسه فى مساء هذا اليوم ويناجى السماء، ويقول : "ليه كده يا حنّان؟!. أنا عملت إيه علشان تعمل فى كده.. فين رحمتك؟. هاكل منين أنا والعيال، إنت مش

حاسس بفقرى؟!"، رغم الحزن الذى لفّ بالحقول والمنازل والمقاهى إلا أنّه لم يُظهر غضبه أبدًا.

كان الناس يتندّرون عليه؛ لأنّه العبد الفقير الفاشل فى كلّ الأعمال، لا يعجبه العجب، لم يسلم أحد من أهل الحارة من لسانه الفالت، يذكر الناس أنه فى صلاة الجمعة التى تلت مقتل جاموسته رفض أن يكرر وراء الإمام كلمة "آمين"، حين دعا الإمام لنرضى بقضاء الرب، صرخ فى الإمام والناس تملأ المسجد، وقال : "كيف أرضى بقضائى، والسّماء تبتلينى كل يوم بمصيبة جديدة؟!، كيف أدعو معك الله ليديم على البلاوى؟!". لولا تدخُّل الناس لكانت عركة كبيرة حدثت بالمسجد، وأدّت الى مقتله فى النهاية، استطاع عشرة رجال أن يُخرجوه من المسجد وهو يقول : "يا جهلة تطلبون من الله أن يُديم فقرنا ومرضنا، وذلّنا وقلةً رزقنا، وحيلتنا يا كفرة!"

بعد أن قبضت زوجته مائتى جنيه نصيبها بالجمعية الكبيرة التى ظلّت تدّخر لمدة سنتين كلّ شهرٍ عشرين جنيهاً من تجارة البيض والجبن والدجاج، وأعطتهم لـ "مبروك"؛ ليشترى جهاز ابنها "فرّاج" ليتزوج.

خرج للشارع وهو يضع عشرات الجنيهات فى جيبه يتحسّسهم كلّ دقيقة ليطمئنّ عليهم فيحسّ بالأمان، عند عودته آخر اليوم من المقهى تحسّس جيبه، فلم يجد المبلغ، تذكّر أنّ أربعة أشخاص تحت ظلام الجميزة أحاطوا به،

وطلبوا منه علبة الكبريت ليشعلوا سجائرهم، فأخرج المائتى جنيه وهو يبحث عن الكبريت، بعد أن اختفى اللصوص علم أنّهم سرقوا المبلغ وتركوا الكبريت!

صرخ على أوّل الحارة، ورفع يديه لربّه يشكو بلاءه، فالمبلغ المسروق هو مهر "فراج" ادخرته أمّه رغم ليالى الحرمان، ظلّ يصرخ حتى منتصف الليل والناس تهدئه، وهو يقول : "لن أدخل البيت قبل أن ينزل الله القادر على بمائتى جنيه خلاف التى سرقها الشياطين"، نام ليلتها فى وسط الحارة وهو متأكّد أنّ الله سيرسل له بظرف يمتلئ بالمبلغ خلاف المسروق؛ لأنّه المنان الحنان لن يترك "فراج" ابنه بدون زواج!

فى نهاية اللّيلة الثانية جمع له أهل الحارة مبلغ مائة جنيه، لولا ذلك لكان قد نام خارج المنزل خوفًا من "أمّ فراج" باقى عمره!!

فى السنة التالية سلّمه أخوه الكبير مبلغ ألف جنيه مقابل حقه بمنزل والده، فوقف أمام الجامع وشكر ربّه؛ لأنه لم يكن يتوقّع أن أخاه الطمّاع سوف يعطيه نصيبه، على الرغمّ من أنّ الناس قدّرت نصيبه بخمسة آلاف جنيه إلا أنّ سعادته بمبلغ الألف جنيه جعلته يدخل الجامع للمرة الأولى فى حياته، ويصلّى الظهر وعشر ركعات شكراَ لله!

حين خرج من المسجد شاهد جمعًا من الناس يفضّون عركة بين اثنين من الشركاء الأغراب تتوسّطهم بقرة

حلوب، اندهش من تصميم أحد الشركاء بقطع البقرة لنصفين ليفضّ الشركة، لأنه لم يعد يأمن لشريكه بعد اليوم والناس تمنعه، وتحاول تهدئته.

حين همّ الشريك ماسكًا السكين بقطع ظهر البقرة أمسك يديه، وطلب من الشريكين فى حكمة بأن يعدلا عن قطع البقرة لنصفين وخسارتها كلها، والانتظار للصباح وبيعها بالسّوق، واقتسام ثمنها بالنصف، لكنَّ الشريكين قالا بصوت واحد : "لن تدوم شركتنا دقيقة بعد الآن"، توسّلا إليه أن يتركهما ليقطعا البقرة لنصفين ليفضّا شركتهما الخاسرة، ويذهب كلّ منهما لحال سبيله.

وسط ذهول الناس أخرج كلّ منهما سكينًا طويلاً، ووضعوه على نصف البقرة ليقطعوها، صرخ "مبروك" وقال لأحدهما : "يا مجنون البقرة تساوى خمسة آلاف جنيه، بيعاها لأحد الجزارين واقتسما ثمنها مناصفة بدلاً من خسارتكما، قال الشريكان بصوت واحد : "لن ننتظر حضور الجزارين، سنفض الشركة الآن اتركنا لحال سبيلنا!"

قال لهم وهو ممتلئ فخراً : "أتبيعانها لى؟"، قالا : "اشترى"، قال : "بألف جنيه"، قالا بصوت واحد : "الله يبارك لك"، أعطاهما المبلغ فاقتسماه سريعًا، واختفيا فى دقيقة.

قال بعض الناس فى حقد : "يا بن الفالح البقرة تساوى خمسة آلاف، وانتهزت خلافهم وكسبت أربعة آلاف جنيه فى دقيقة"، قال : عوّضنى الله طمع أخى الكبير، بعد أن

جرّدنى من حقّى بمنزل والدى مقابل ألف جنيه على الرغم من أنه يساوى خمسة آلاف"، وأكّد بامتنان : "إنها عدالة السماء، فقبل أن يذهب لبيته حزينًا لفقد باقى حقه يرزقه الله به أمام بيته".

عاين البقرة والناس تحيطه ويحسدونه، وأثناء اندهاشه من حكمة الرب العادل فُوجئ بالشيخ "شحاتة" يصرخ فى الشارع : سُرقت بقرتى.. سرَقت بقرتى"، حين اقترب الشيخ من الجمع وشاهد بقرته أمام الجامع قال : "الحمد لله.. بقرتى عادت.. الحمد لله"، قبل أن يسجد على الأرض شاكرًا ربه، ويسحبها لمنزله دون أن يفهم ما حدث. قال مبروك : "بقرتك إيه يا راجل يا مجنون، أنا اشتريتها من تجار مختلفين أمام كل هؤلاء الناس منذ ساعة"، بلغ ابن الشيخ شحاتة العمدة ليقبضوا على "مبروك" سارق بقرتهم، فجاء المخبرون والجمع مذهول من حرفة اللصوص وخبرتهم العالية، شهد جيران الشيخ "شحاتة" بأنّها بقرته، وأنّ "مبروك" هو الذى خطّط مع اللصوص لسرقتها، بعد أن أحبكوا تمثيله كانوا جميعًا يصدّقونه قبل ظهور الشيخ "شحاتة"، وحضور المخبرين والشهود.

حلف الفَقَرِى بأغلظ الأيمان أنّه لم يكن يعرف، بكى متحسّرًا على حاله وضياع الألف جنيه، فأمر العمدة بأن تعود البقرة للشيخ "شحاتة"، براءة "مبروك" من السّرقة، قال بأسى للفقرى : "يعوض ربنا عليك".

ظلّ مغشياً عليه لمدة أسبوع ولم يذق طعم الزاد إلا حين سحب الشّيخ "شحاتة" البقرة، وسار أمامه ذاهبا لحقله، فقام من غفوته وطلب من الشيخ أن يقف ليتذوّق طعم لبنها لتخفيف مصيبته، يومها حنّ قلب الشيخ، ظلّ لمدة ثلاثة أشهر يقتسم لبنها مع "مبروك"، كانت البقرة بقدرة الـ قادر تحلب ثلاثين كيلو لبناً يومياً لتكفيهما الاثنين.

فى المشهد الأخير الذى لم ننسه جميعًا، وهو يقف مزهواً بإنتاج قراريطه من الذرة فُوجئ بأبناء "السنبكى" يسرقون كيذان الذرة ليسدّوا جوعهم، جرى خلفهم وأمسك بأحدهم، حاول الناس أن يفكوا يديه عن رقبة "ابن السنبكى"، بعد أن أحكم قبضته عليه، وقال : "لن أفكّ يدى إلاّ إذا أتى "السنبكى" بعشرين جنيهاً قيمة الذرة المسروقة"، أعطوه النّاس المبلغ قبل أن يموت الولد الصغير بيديه، قال أحدهم : "علشان خاطر ربنا يا عم "مبروك" سيبه"، ترك الولد وقال للرجل : "ربنا إيه يا خويا.. هو ربنا كان بيزرع.. من يعرف قيمة الإنتاج إلا الزارع، ربنا يعرف إحنا عرقنا أد إيه علشان نحرث ونبذر ونسقى؟!، يا ناس يا كفرة.. ربّنا ماله ومال الحرامية، والأرض والزرع!!"

انفجر النّاس جميعًا فى الضّحك، حين جرى "ابن السنبكى" من أمامه، والفقرى يستهزئ من حكمة ربهم الذى بعد أن زهق وكفر من أفعالهم، تركهم ونام فى السماء بقصره محتقراً ظلمهم وجهلهم !!

سِتُّ الحُسْنِ

هَاجَرتْ لبلدتنا مع أسرتها بعد أن هدمت الطائرات بيتهم بمدينة السّويس وأقامت بجوار منزلنا، كانت طلعتها بشباك حجرتها على الحارة إيذانًا للحبّ بالانتشار.. كانت عيناها الصّافية تنظر إلينا فى براءة لتخترق القلوب.

كان "حسن" قد أذهلته رائحة ستّ الحسن السّويسية التى تملأ بيوت الحارة بالبهجة، فينام كلّ ليلة وهواء حجرته يشعّ برائحة قميصها الكحلى، وشعرها المحلول وجسمها البضّ.. أتعبت مخدته القطنية أحضانه لستّ الحسن، وهو يتوسّل إليها لتقبله عبدًا، وبعد الدّلال توافق الملكة فتتلذّذ المخدة القطنية من دفء أحضانه.

كانت أمه تشفق عليه، وتقول : "اِخْترقَتْ سهام ست الحسن قلبك الطيب، انهرتَ يا ولدى لن يشفيك منها أحد!"

فى ليلة تاريخية لن ينساها "حسن"، جلس وحيدًا بعد صلاة العشاء ينتظر رائحة وصوت ستّ الحسن خارجًا من شباك حجرتها الملاصقة لمنزلهم ليبهج الحارة.. لكنّها لم تطلّ من شباكها، ولم تشعّ رائحتها أو صوتها بالعطر كالعادة.

كان منزلها مُغلقًا، وأنواره مطفأة، قال حسن لأمه :
"لماذا غابت ستّ الحسن وأسرتها خارج المنزل حتّى الآن؟"

لكن أمه التى تفهم سر حرقة قلب ابنها قالت له :
"ربنا يشفيك، إحنا عارفين يا بنى يمكن بيزورها حد.. دول مهاجرين وملهمش مكان، يمكن رجعوا لبلدهم تانى".

كانت الحارة قد هدأت، بعد أن عاد الرِّجال من أعمالهم فى المدن البعيدة، لم تعد إلا قهوة "زقزق" مفتوحة الأبواب تُعلن للرجال الذين ضاقت بيوتهم عليهم بأنّها مفتوحة لاستقبال حزنهم، فيجلسون لنصف اللّيل يلعبون الدومينو، وينسون همومهم.

نادت أمّ حسن عليه : "يالاّ يا بنى خُش علشان نتام، يالاّ يا ولدى اللّيل قرب على نصفه.. عندك شغل الصبح.. يالاّ يا حسن يا ضنايا".

لكن "حسن" الذى كان يطير بعقله خارج الحارة يبحث عن ست الحسن، لم يسمعها فخرجت وشدّته، وأدخلته على سريره لينام، وطبطبت على رأسه ولفّته باللحّاف القطنى، وقالت له : "نام يا ابنى.. الصّبر جميل وفرجه قريب.. نام يا حبيبى".

أغمضت عين "حسن"، لكن روحه كانت تطير خارج الحارة بحثًا عن ستّ الحسن، غطّ فى النوم بعد غناء أمه، لمّا سمعت شخيره حمدت ربها ودخلت لتنام، فى هذه اللحظة كان "حسن" الطائر بروحه فوق بيوت الحارة يشاهد ستّ

الحسن بفستانها الأبيض تجلس أمام باب مدرسة "الإمام على" الابتدائية حائرة، اقترب منها وسألها : "ماذا تفعلين هنا؟. لماذا لم تعودى للمنزل حتّى الآن؟ قالت: تركنى أبى وأمى وعادا لبيتنا فى السويس بعد أن انتهت الحرب، قالا لى : إن ملاكًا جاءهما، وقال لهما سآخذ ست الحسن وأبنى منزلكما المتهدّم بالمدينة المهجورة، وطار بهما ليعيشا بالسّويس مرة أخرى وتركانى".

قال لها حسن : "ملاك إيه وكلام فاضى إيه.. تعالى معى سنعيش ببيتنا مع أمّى، لن يأخذك أحد منّى.. هل نسيتى ما بيننا؟.. تعرفين أنّ عملى بالنجارة قد ازداد، وأصبحت أملك محلاً كبيراَ، وأوشكت على الانتهاء من سريرك الطائر ودولاب ملابسك، أنت تعرفين أنّنى اتفقت مع المنجد لعمل مرتبتين من القطن الفاخر، لتنامى كالأميرة بجوارى؟"

لكنّ الملاك نزل فجأة من السّماء، وقال له : "يا حسن إنّ ربّك طلب منّى أن أحضر له ستّ الحسن؛ لأنَّ رائحتها وجمال قدميها وهى نائمة فى الليلة الماضية أبهره فأمرنى بإحضارها، لما طلبت من والديها ليلة الأمس تنفيذ أوامر الرب وافقا بشرط إنهاء حرب السّويس، وبناء منازل المدينة المهجورة، أمر الربّ بوقف الحرب وبنى المدينة كلّها إكرامًا لعيون ست الحسن، فاتركها لنعود لقصر الربّ فوق السماء؛ لينعم بالنظر لوجهها السّمِح وسمانة قدميها!!

قالوا : "إنّ الربّ فوق السماء سيهلك الأرض بالأمطار والرعد، إذا عارضت صعودها لقصره الذى يمتلئ بالذّهب والفضة!"

فى هذه اللحّظة قامت ستّ الحسن، تمخطرت بجوار سور المدرسة، كان حذاؤها الذى تَلبسه يطرقع مع كلّ خطوة بموسيقى لم تسمعها الملائكة "تك تك تك.. تُوك تُوك تُوك"، أذهلت الربّ بدلالها ونادى على ملاكه : "أحضرها يا حنبئيل سريعًا".

قال الشاطر حسن : "لن تأخذ حبيبتى، أنت تكذب. فالربّ لا يطمع بامرأة مهمًا كانت جميلة وخلابة، كيف يشتهى الصانع إبداعه؟!، اذهب أيّها الشيطان بعيدًا. حبيبتى ستعود لمنزلى، وتنام على سريرها الطّائر".

أخرج "حسن" منشاره وجرح بطن الملاك الذى بكى، ونزف دمًا أبيض من بطنه، وتوسّل لـ "حسن" بأن يترك ستّ الحسن تطير معه لقصر الربّ وإلاّ حلت النّقمة على الأرض.

استشاط الربّ غضبًا فى السماء من رفض "حسن"، حاولت الملائكة الأبرار تهدئته فأحضر كبيرهم قطعة كبيرة من المخدرات تزن عشرين كيلو، ووضعوها على حجر الشيشة الذى يبلغ طوله ثلاثة كيلو مترات، ودخّنها الربّ مرة واحدة؛ لينسى تمرد العبد "حسن" على أوامره، أنزل الرعد والأمطار، شقّت الزلازل شوارع البلدة الضّيقة! كادت مدرسة

"الإمام علِى" تقع لولا كرامات ستّ الحسن التى نظرت بعينها للسّماء، ففهم الربّ الرسالة، وسكنت الدنيا من جديد!!

لكن ست الحسن التى أذهل دلالها الربّ فى ملكوته، ومنعته بنظرتها تدمير الأرض رفضت الصّعود مع الملاك، فأنزلت السماء أمطارًا غزيرة من جديد وأبرقت رعدًا، أخذ الشاطر "حسن" حبيبته فى حضنه، غطّاها بجلبابه الطويل خلف سور المدرسة، والملاك النازف بالدماء البيضاء يتوسّل إليه ليتركها، حتّى لا تحلّ اللعنة على الأرض والسماء.

رفض "حسن" توسلاته، فأرسل الربّ الملائكة المسلّحين بالرماح والسيوف، والمتّشحين بملابسهم البيضاء الطويلة، حاصرت الشاطر "حسن" وست الحسن، ورفعوهما للسماء رغم قوة منشار "حسن" النّجار الذى جرح أكثر من عشرين ملاكًا، وخلع عين كبيرهم "جبرائيل"، إلا أنّ الكثرة تغلب الشجاعة، وهُزِم "حسن" فى معركة الملائكة!

فى قصر الربّ العالى شاهد "حسن" الربّ يجلس كملك مُتوجٍ بالنصر، يدخّن البانجو والحشيش على شيشة كبيرة تصل لألف متر، ويتّشح بملاءات بيضاء وحمراء، والملائكة تضع أكوام النار فوق حجر الشيشة الممتلئ بالمخدرات، فجأة قال الربّ : "أترفضين الحضور يا ست الحسن، أنا الذى خلقتك وصنعتك ففاق بهاؤك تصورى

للجمال؟!، ستعيشين بقصرى، سأجعلك إلاهًا للحبّ وتنعمين بالخلود".

أشهر الشاطر "حسن" منشاره، كان كالقزم وسط الملائكة المحيطين بالربّ، وقال : "يا ربّ كيف يمكنك أن تأخذ حبيبتى منّى؟!، كيف تكون أنت القادر الرحيم، ويطاوعك قلبك على تفريق العاشقين؟!. يا ربّ أيُرضيك أن أتعذّب وأموت حزينًا لفراق حبيبتى؟!"

قال الربّ المتّشح بالبياض : "يا عبدى سوف آخذها بإرادتك أو بدونها، فكّر بعقلك كيف ستهزم كلّ ملائكتى الجبابرة وتعود بها لبلدتك، عُدْ يا "حسن" لبيت أمّك حتى لا تفعصك أقدام ملائكتى. أنا لا أريد قتلك وتعذيب روحك؛ لأنّك فى النهاية عبدى، يا ولدى روعة عيون ست الحسن وسمانة قدميها أذهلتنى وخلبت عقلى، عُد يا "حسن" وسوف أجعلك ملكًا فى بلادك تتحكّم فى العباد والأموال، سأجعل النّساء ترتمى تحت قدميك، وأُنعم عليك بالملك والمال الذى يكفيك أنت وذريتك، عُد يا "حسن" وعِش كالملوك، واترك ست الحسن فى قصر الربّ تنعم بالذّهب والماس، وجنات الفواكه الممتدّة والخلود".

صرخت ست الحسن، وقالت للربّ : "ليس كافيًا أن تكون إلهًا لتأخذ روح العباد عنوة، أنا لا أرغب فى أن أكون ملكةً للحبّ فى قصرك العالى فوق السّماء، أنا أرغب فى أن أكون زوجة للعبد الفقير "حسن" فى الأرض وأرغب فى النّوم

على سريرنا الطائر الذى صنعه بورشته ويديه، ليظلّل عشقنا".

صمتت الملائكة، بعد أن كوّمت كلمات ست الحسن الربّ الرحيم بجوار حائط القصر، نظر لعرشه الشّامخ الذى تهتّز له كلّ يومٍ السماوات السبع، وتعجّب من رفض امرأةِ لأوامره، بكى حزيناً على جهل عباده.

ساد الصّمت والسكون فى السماء السابعة حين أمسكت ست الحسن بيد "حسن"، وخلعت توكة شعرها وملابسها البيضاء، والذهب اللولى وتاج الماس الذى كان الملائكة قد وضعوه على رأسها، وخرجت عارية من السّماء والربّ يبكى حزيناً على رفضها كلّ العز والملك من أجل عبدٍ يعمل نجاراً بحارةٍ فقيرة كان قد نساها!.

فى هذا الوقت أيقظت "أمّ حسن" ابنها ليذهب لورشته؛ ليستكمل صنع سريره الطائر وضحكت فى وجهه، وقالت : "اصحى يا واد ، ست الحسن رجعت هى وأبوها وأمها من عند قرايبهم بالسّويس.. اصحى يا واد ، الصبية متشوّقة ليك.. قوم سلّم عليها يا خايب يا بن الخايبة.. قوم يا خويا حبيبتك مستنياك".

الطِّفلُ يَتَساءل

يصحو جدّى منتصف كلّ ليلٍ يغتسل ويصلّى ساعاتٍ طويلة، يبتهل ويضاء وجهه وهو يقول : "لا إله إلا الله.. سبحان الله العظيم.. الحمد لله ".

منذ ميلادى وحتى موته، كان يصلّى الفجر والعشاء بالجامع، ويصلّى الأوقات الأخرى وحده فى خشوعٍ كأنه يرى الله، لم يكن يحتاج شيئاً من السماء التى يعبدها، كانت صحّته وحياته على أحسن حال، كان دائمًا يتغذّى بالثوم والبصل واللّيمون، ويعشق فتة اللبن فى الصّباح، عند عودته من عمله مُحّملاً بالبلح الأمّهات والعجوة والفواكه، نتناولها سريعًا، كأنّنا نضع العسل بأفواهنا، كان يقول : "إنّ ربه رزقه عند مدخل البلدة بهذه الخيرات ليسدّ جوعنا".

لماذا كان يُجهد نفسه فى الالتزام بالعمل والصلاة طوال الوقت؟!، فى المرة الوحيدة التى سألته فيها، قال : "إنّ الله يوزّع الرزق بعد الفجر، ويجب علينا السّعى قبل شروق الشمس لننال رزقنا من رضا الله".

كنت أراقبه معظم أوقات الصّلاة، وأتساءل: لماذا يكلّم نفسه ويقوم، ويجلس مرارًا ويكلّم السماء ويبكى؟!، هل هناك إله يسمعه فعلاً، أم أنه يفعل ذلك ليتطهر من التفكير فى مصائب الدنيا وغلق مجارى الشر؟، هل تكرار

نفس الكلمات كلّ يومٍ خمس مرات كفيلٌ بتطهير روحه، وردم ممرات الغل والحقد، لينام دائمًا مبتهجًا راضيا؟!

حين ماتت أمّى وأنا صغير قلت له : "أين ربّك الذى تصلّى له ليعيدها لى؟.. إن كان قادراً على كلّ شىء، فلماذا لا تأتى مرةً أخرى لتفطر معنا فى الصّباح، وتُدلك قدمى قبل النوم، وتحتضننى حين أغضب، وتضع يديها بحنية على رأسى لتهدئ من روعى وخوفى؟"

ينظر ناحية السماء، ويقول : "إنّ حكمة الربّ تُوجب علينا أن نتقبلها، هو العالم بخبايا النفوس وهو أبدًا لا يفعل إلاّ الخير، علينا تقبل اختياره فى رضا؛ لأنه اختبار لحبنا، وقبولنا مشيئته، وإيماننا بنعمته".

كانت أمّى التى فقدتها رمزًا لرقة منزلنا، كانت بريئة ورائعة حين تنظر بهدوء لصراخ أبى، وتقول : "معلهش يا خويا غلطة وعدت.. معلهش يا خويا حقك علىّ"، كان جدّى يعشق طيبتها، لم يختلف معها أبدًا، بعد فقدها تغير الحال بمنزلنا، جنّ جنون أبى ولم يمر يوم إلا وتشاجر مع المارّة فى الشارع، أو مع جيرانه فى الحقل كأنّه فقد الأمان!

كان جدّى يحاول أن يُعيده لسيرته الأولى، ويقول له : "تزوّج بأخرى، وسيعوّضك الله عنها خيرًا"، لكنّ أبى السّاخط يقف بوسط المنزل يسبّ الله وحكمته، وينتقد الظّلم، يقول للسّماء فى غضبٍ : "عايز إيه مننا تانى كفاية حرام عليك". فيسكت جدّى مستاءً من جهله، ويدعو له بالهداية.

فى اليوم الذى تُوفِّيت فيه بكى الجميع بحرقة، كانت بكارتهم التى حرموا منها للأبد، حين رفعها الناس والدموع تسيل فوق أكتافهم، خرجوا بها من الورّاق لمدفننا بالسّيدة عائشة.

نزل الصّمت على أبى، حين حاولوا إنزالها بالتربة صرخ فى الجثة الميتة: "يا زينب لماذا تركتنا؟! أين روحك الجميلة الطاهرة ؟! يا ربّ أعدها لنا!". تمادى فى الصّراخ والناس مذهولة من حزن رجلٍ فقد رفيقته التى علّمته الحب والأمل.

ظلّ أكثر من ساعتين يهذى رافضًا أن يأخذوا الجثة منه، حين هدّه التعب وأغمى عليه أنزل أخوالى وأعمامى الجثّة، وأهالوا عليها التراب.

تعاطفت معه فى هذا اليوم رغم قسوته وعناده وصراخه الدائم، سألت جدّى : "لماذا يحرمنا الربّ بهجتها ورؤيتها وهى تقابل الصّبح بوجهها السعيد المتفائل دائمًا، فتزرع فينا الأمل؟! هل الربّ غير رحيم، ومنزوع من قلبه الحب؟!"

هذا اليوم فقدت إيمانى بالله؛ لأنّ قلبه لم يرِق لتوسّلاتى، ويعيد أمّى لمنزلها؛ لتعُدَّ لنا العشاء وتجمعنا فى ود؛ لترفرف علينا طيبتها وتلقى بنسمات الرضا فى قلوبنا، ونحن ننام معها على المصطبة البحرية.

فى نهاية اليوم جاءتنى بمنامى تلبس أبيضَ فى أبيض تطلب منّى أن أسامح الرب، وأن أقبل فقدها، لأنّها سعيدة هناك مع الأموات.. لكنّنى أبدًا لم أسامحه!!

بعد شهرين من وفاتها كان جدّى ينام بالحقل، يأخذنا بعباءته الصوف، ويُغمض عيوننا بيديه، ليمنع العفاريت من النظر فيها، حتّى لا نراها وهى خارجة من حقل الذرة، ورغم دفء حرارة عباءته إلاّ أننا كنا نرتعش، ونطلب منه أن يُناجى ربه ليطرد العفاريت وأمنّا الغولة، ويمنعهم سرقة عيوننا.. كان يطبطب على ظهورنا ويأخذنا بحضنه، ويقول : "إنّ العفاريت وأمنا الغولة لا يستطيعون دخول العباءة الصّوف، وسرقة عيوننا؛ لأنّ الله لن يسمح بسرقة عيون الصّغار!!"

خرجتُ من عباءته، وقلتُ له فى غيظ : "لماذا خلق الله أمنّا الغولة إذا كان لن يقبل أن تؤذينا؟! نظر بحبّ ناحية السّماء، وقال : "القادر العليم بالأمور لا اعتراض على مشيئته وإلاّ فقدنا إيماننا". أخذنى فى حضنه وقال : "نام ربنا يهديك".

بعد وفاة أمّى بثلاثة أشهر أخذنى لحقول الفلاحين لنضمّ القمح، وتأخّرنا بأحد الحقول حتّى حلّ الظلام ومنع رؤيتنا، فقام وصلّى العشاء على ضفة الترعة الكبيرة، طلب منّى أن أركب الحمارة لنرحل، كان يهذى بكلمات غير

مفهومة يتوسّطها كلمات مثل : "الحمد لله.. يا ربّ سترك.. لا إله إلا الله"، وركبنا الحمارة ولم يكن يرد على تساؤلاتى وخوفى.

أخطأت الحمارة الطريق، وسارت عكس اتجاه قريتنا بالحقول حوالى ساعتين والظلام يُحيطنا من كلّ اتجاه وهو يهذى، يترك الحمارة دون أن يرشدها أو يرد على خوفى!

كنت أركب وراءه، وأنا خائف من هذيانه واستسلامه، أساله : "جدًى أخطأنا الطريق"، فكان يقول : "يا ربّ استر.. الحمد لله".

حين قارب الفجر على الأذان، ونحن نسير وقعت الحمارة بالترعة المليئة بالوحل والمياه، غرقنا نحن الاثنين بالطين، أخرجنا الحمارة من الترعة، ونشرنا ملابسنا المبتلّة على الأشجار، كان القمر غائبًا فخيَم طعمُ الوحشية على اللّيل والسكون.

أخذنى بجوار كومة حطب كبيرة، وقال لى : "نم قليلاً هنا ولا تخف"، هدهد على ظهرى وتمتم بجُملٍ لم أفهم سوى "قل أعوذ برب الناس.. الخناس.. الوسواس.. احفظنا يا رب"، خاطب السماء، وقال : "اهدنا للطريق الصّحيح يا ربّ.. يا حكيم اهدنا واغفر لنا جهلنا"، فُوجئت بأمّى تعود من مدفنها تأخذنى بأحضانها، وتحُضر لى ملابس نظيفة وجديدة، نظّفت جسمى من الطين، وألبستنى ببهجة كأنه صباح العيد، أخذت يدىّ وسرْنا وحدنا.

كنت أرى نور القرية مُضاءَ من بعيد، أعطتنى عسلية كانت تملأ بها جيبها، وقالت : "النور ظهر لا تخف، البيت اقترب، امشِ قليلاً لتصل هناك، سوف تجدنى بالمنزل بملابسى البيضاء أشَرب معكم الحليب".

وجدِت نفسى وسط نساء كثيرات متّشحات بالسّواد ويعددن على، كأنّنى ميت ويحاولن أكل جثتى، صرخت بأمى : "أنت تسيرين بالطريق الخطأ عُودى مرةً أخرى حتّى لا نصل لقَرية أخرى وأفقدك من جديد، جرتنى محاولة السير عكس نور القرية، فتركتها وجريت نحو النور، ودخلت القرية المظلمة.

كانت المحال بجوار محطة سكة الحديد مازالت تفتح أبوابها للمارّة والمقاهى تمتلئ بالشباب ففرحت، عبرت سكّة الحديد للجانب الآخر من البلدة التى يقع بها منزلنا أبحث عنها وأنا مشتاق لرؤيتها، وهى تملأ البيت بهجة بملابسها البيضاء، كانت الحوارى والمنازل مثل العلب المرصوصة فى انتظامٍ مُدهش، كانت النساء والأطفال والرجال العجائز الذين يملأون مداخل البيوت ينظرون فى غلًّ والدماء تسيل من أفواههم، وينادون على لأدخل.

كنت أشاهد أمّنا الغولة معهم بكلّ البيوت، جريت وحدى بالطرقات والظلام يحيط بالمنازل الطينية السوداء.

قلت لنفسى : "هذه ليست قريتى، قريتى مملوءة بالحب ومنازلها مأوى للأمان وليس للرعب والغل، وشرب الدماء البشرية، أين جدّى وأمّى الرقيقة؟ هل فقدتُ الذاكرة والهوية؟، أين منزلنا ؟

كانت النساء والأطفال والرجال بمداخلِ البيوت بعيونهم المغلولة وأنيابهم البارزة، ينادون علىَ، لأدخل فأجرى مرعوباً، حتّى وجدت نفسى على الطريق الكبير الموازى للترعة الكبيرة ومحطة سكة الحديد، فحمدت الله لإنقاذى من السفّاحين الذين يملأون الشوارع والبيوت.

وجدت المقاهى والمحلاّت المفتوحة، والمملوءة بالبشر المذهولين وهم يلبسون ملابس متشابهة سوداء، وقد ازدادت عيونهم وأفواههم اتساعًا، أصبحوا مثل الشياطين، كان الجزارون يعلّقون لحوم البشر على جوانب الطريق، ووجدت أمّى وجدّى مذبوحين ومعلّقين على مداخل أحد محلات الجزارة ويضحكان، كانت جثثهما ملقاة على الأرض يحيطها الثلج حتى لا تتعفّن، حاولت أن أعيد رأسيهما المقطوعة لأجسامهما، لكنّ الجزارين جروا ورائى بسواطيرهم، رفعوا الجثث على السيارات، كانوا يقطعون أجسادهما وأفخاذهما، لتجهيزها للبيع ليأكلها الناس.

عُدتُ مرةً أخرى بجوار العربة، اقتربت من رءوسهم المذبوحة، وناديت: "يا أمّى.. يا جدّى.. ماذا تفعلون هنا؟"..

ضحكًا وقالا : "اذهب للمنزل، ولا تخف.. ولا تسأل كثيراً إنها حكمة إلهنا العزيز!"

فزعت من استسلامهم وتملّكتنى قوة غريبة، فأخذت رأسيهما المعلّقتين على مدخل المحل، ووضعتهما على أجسامهما رغم سكاكين الجزارين ومساعديهم التى اغتالت جدّى، لم أهتم بالدماء التى نزفت منّى حتى قاموا من الموت، ساروا بجوارى، عادوا مرة أخرى بى لمنزلنا الذى كان يمتلئ بأخواتى وأعمامى وأولادهم!!

كان الشارع يبتهج برجوعهما، ألبستنى أمّى ملابسى النظيفة بعد أن غسلت جسمى بالماء السّاخن، داوت جروحى ونامت بجوارى، حين صحوتُ من النّوم وجدت نفسى بجوار كوم الحطب والصبح قد شقشق.

وضع جدّى الخبز باللّبن الساخن فى كفّ يديه لآكل، ورفع الحطب عنّى، وطلب منّى أن ألبس ملابسى؛ لنعود لمنزلنا بعد هذه الليلة الغريبة.

احتضننى، وقال : "لا تحك لأحد عن حُلمك، الله يحميك يا بنى.. ضحّيت بنفسك لتحمينى أنا وأمّك من هلاك جهنّم".

ركبنا الحمارة وعدنا، كان الأهل جميعًا يقودهم أبى وأعمامى يبحثون عنّا، وينتظرون عودتنا، حين شاهدونا

عادت إليهم الحياة، سألوا بعضهم : كيف لرجلٍ بلغ السبعين من عمره وطفلٍ لم يتجاوز العاشرة أن ينسيا طريق العودة لمنزلهما، بعد أن حلّ عليهما الظلام؟، لكنّهم ابتهجوا ونسوا ما حدث لنا بمجرد أن جلس جدّى أمام الجمل، ليطعمه جذور الذرة والبطاطا.

فى الليلة التالية حكيت لأصدقائى على المصطبة التى تتوسّط الحارة حكاية الليلة الفائتة التى شاهدت فيها أمّى والرِ جال والنساء الذين فقدتهم القرية مذبوحين ومعلّقين على أبواب محلات الجزارة والشياطين يشترون لحومهم ليطهوها، اندهش "على" صديقى، وقال : "هل رأيت أردافهم وصدورهم، وشعورهم متدلية من رءوسهم المقطوعة على واجهة المحلات؟!، أكانوا يضحكون والثلج الملقى على جثثهم، وسعداء بتجهيزهم للتقطيع والبيع؟!، قلت لهم : "كانوا يضحكون لينسونى وجوه أمنا الغولة وأولادها وهم جالسون بمداخل البيوت السوداء الخربانة المُوحشة، كانوا يضحكون ليفقدوا ذاكرتى مشهد الرِجال ذوى الأنياب البارزة الذين حاولوا خطفى لأكلى، اضطر جدّى وأمّى العودة من الموت حتى لا أتذكر هذه المشاهد مرة أخرى فى حياتى!!"

كان أصدقائى يندهشون، ويقولون لى : "يا كذّاب كيف لرجلٍ فى السبعين وطفلٍ فى العاشرة أن يفقدا طريق العودة لمنزلهما ويتوها فى الحقول لأنّ الظلام حلّ عليهما"، لكنّهم لم يندهشوا من حكايات "عبده" صديقى وهو يحكى عن الصراط المستقيم الذى سنمشى عليه يوم القيامة،

ويتحوّل لخيط رفيع تحت أقدام الشرير فيقع من عليه، وطريق عريض للأخيار ليمروا سالمين، كان يقول : "إنّ الله يختبرنا، ومن ينجح ويمر بسلام سيدخل الجنة، ومن يقع فسيكون مأواه جهنم وبئس المصير".

اندهشت من حكاية "عبده"، وتساءلت كيف نمشى على خيط رفيع كشعرة الرأس دون أن نقع؟!، ولماذا لا يصدّقونَ ما حدث لى ليلة الأمس مع أمّى وجدّى وأمنا الغولة، ويصدّقون الاختبار العبيط للربّ للتدليل على صدق أو كذب خبايا نفوسنا؟!

قال صديقى : "إنّ جميع أعمالنا تُوضع بميزان الحسنات والسيئات، والويل لمن تكون سيئاته أكثر من حسناته".. كُنتُ أندهش من الطريقة التى يحاسبنا بها الله، أيحتاج دليلاً وميزانًا ليحسب نتائج أعمالنا.. ومن يراقب أحكامه ومؤشرات موازينه.

ردّ عبده : "إنّ الله يدلّل على نتائج أحكامه حتّى يؤكّد لأمثالى المشكّكين بوجود عدالة السّماء"، اتهّمنى أصدقائى بالكفر؛ لأننّى حلفت بأنه لولا أننى سارعت ليلة الأمس، ووضعت رأس أمّى على جثتها لأعيدها للحياة مرةً أخرى، وتحمّلت وحدى آلام السكاكين التى قطعت ظهرى وأفخاذى، لكنّا الآن نأكل لحوم البشر دون أن ندرى.

أخذنى جدِّى آخر الليل، بعد أن حكينا الحكايات للمنزل وطبطب علىّ، وقال : "لماذا حكيت لهم؟.. ربنا يهديك.. ربنا يهديك"، لفّنى بعباءته الصوف لأنام فى حضنه حتّى لا تأكلنى الشياطين، أو العفاريت، أو تسرق عينى أمنّا الغولة!

أين الله

كُنتُ أسير وحدى قاطعًا المسافة الكبيرة من حقلنا المجاور لمطار إمبابة إلى الوّراق على طريق المصرف البحرى مخترقًا الحقول، مختالاً بقدراتى على امتلاك كلّ هذا الفضاء الرحب.

كان الفلاّحون يزرعون البطاطا، ويحصدون القمح، ويتسامرون بالجلسات التى يعقدونها على رءوس حقولهم، أتمنّى أن أشاركهم جميعًا الزرع والحصاد والسّمر. أسمعهم وهم يحكون أسرار الزرع والمياه والحيوانات والسّوق والعلف.. يتذكّرون تواريخ القرية والعائلات والناس، يحكون نفس الأسرار كلّ مرة بطريقة مختلفة، كأنهّم يسمعونها لأول مرة.. من أين أتوا بكلّ تلك البكارة؟

كان صباح كلّ يوم مختلفًا.. جديدًا، ماذا يحوى الصّبح، ليدفعهم من جديد للتنفّس بطريقة مُبتكرة؟.

أخترقُ الطرقات التى تتوسّط الحقول راكباً الحمارة البيضاء، وأنتشى بنضارة الأشجار والحيوانات والناس، أحسّ بهم جميعًا يملأون روحى اكتمالاً.. كانت هذه المساحات بين السماء والأرض، والتى أسير فيها كلّ يومٍ تُفجّر فى قلبى الخير الوفير والبراح.

كم عمر هذا الزمن الذى عشت فيه بهذا البراح الرهيب؟، كنت أستدعى الناس والحيوانات، وأنا راكب الحمارة البيضاء التى تمشى بطيئة ، أحتضن النّساء والبنات، يكفى أن أضع يدى فى فتحة جلبابى، أتلمّس قضيبى، وأعيش معهنّ لحظات لا تنسى، وهنّ يمتلئن أنوثة وأنا أعاشرهنَّ فى كلّ البيوت، أو بالحقول الواسعة.

كم عمر هذا الزمن الذى تفجّرت فيه بكارة السماء والأرض والزرع؟

سمعنا حكايات مسّاح القرية "محمّد عباس" عن القسمة والحدود، كان يقسّم الأرض، ويضع الحديد على فواصل الأرض، يقسّم المنازل وحقول الناس، كانت الناس تندهش من بريق عينه اللامع وهو يحكى عن مساحات أراضى ومنازل القرية، ومعرفته تاريخ وضع الزوايا الحديدية المدقوقة على فواصل الحقول.

كان يقول فى فخرٍ : "إنَّ عمله هو تحديد الأرض والزمن.. لماذا كان سعيدًا بمعرفة الحدود والمساحات؟!، هل أوجد عمله داخل عقله تلك الفواصل، فأصبح كلّ شيء فى حياته بحساب ؟!

كان يفتخر دائمًا بأنّه يضع بمنزله طبلية الطعام وسط الحجرة القبلية بنصف زاوية قائمة من الباب، وعلى بعد مترين وخمسة سنتيمترات من الشباك، ويجلس أبناؤه الأربعة وزوجته فى أماكن محدّدة لم يغيروها أبدًا منذ

ولادتهم، أكان يفتخر دَلاّل المساحة بحدود الإنسان، أم بقدرته على معرفة المسافات وتخطّيها؟!

في المرة الوحيدة التى جلست معه، وسمعت حكمته بعد أن دقّ حديد الأرض المتنازع عليها، كان أذان العصر قد اقترب، دون أن ينظر فى ساعته قال : "يتبقّى تسع دقائق ونصف الدقيقة على الأذان والمسافة حتى باب المسجد فى حدود نصف كيلو، وتستغرق ست دقائق بالخطوة العادية، سأمشى ثلاثين خطوة داخل المسجد لأَصل للميضة، وأتوضّأ فى ثلاث دقائق، حين يؤذّن للعصر سأكون جاهزاً لصلاة الجماعة".

كان يحكى مع الفلاّحين المندهشين بحسابات الزمان والمكان كمية الوقت الذى يستغرقه الإنسان منذ الولادة حتّى الممات كأنّنا فى رحلة يجب أن نستمتع بكلّ دقيقة فيها، كان مُدهشًا حين يتحدّث عن البراح خارج حدود عمله كمسّاح للأراضى والبيوت، كان عقله وروحه يطيران معك حيثما شئت، كان لمّاحا وابن نكتة، يتحدّث عن النّساء بعشقٍ يبهرنا، كان يحبهنّ بالرغم من أنّ الله خلق لهنّ ضلعًا ناقصًا، يستكملهنّ بشراهتهنّ للرجال.

كيف استطاع أن يتحدّث فى كلّ هذه الأمور، ويحكى حكايات عن أصدقائه وزملائه دون أن يفرّط فى هيبته أو حدود الأدب؟ كان الفلاّحون مملوئين بكارة رغم أنهّم لم يعرفوا فى حياتهم إلا حدود المنزل والحقل، لم يخرجوا من

البلدة إلا للسّوق، كانوا يملكون العالم وهم يتفاخرون بزراعاتهم وحيواناتهم وأبنائهم وزوجاتهم البارعين فى الحب والنشوة، كانت عندهم إجابات لكلّ شىء.. لم يستعص أبدًا عن فهمهم تعب أبنائهم، أو مرض جاموستهم، أو ندوة زراعتهم، أو عطش أراضيهم، أو قلّة محصولهم، كان كلّ شىء يتحرك معهم وبهم دون حساب على الرغم أنهّم يحسبون لكلّ شىء حسابًا.

لم يكن هناك سقف لأحلامنا، لم تكن هناك طرق محددة، ومحكوم علينا بالسير فيها لننال الرزق.

لم تكن ذرات المياه بالترعة مُحدّدة، رغم أنّ الترعة لا يزيد حجمها على مترين، لكنّها كانت كالبحر الذى تغرق فيها أحزاننا كلّ يوم فتشفينا من العلل.

القنوات التى كالبحر تُجدّدنا كلّ يوم حين تلامس أجسامنا مياه الترعة فتحملنا بكلّ تلك النضارة وتقينا حر الظهيرة وعطش الأرض، ونفقد معنى الحرمان، كان ذلك سر البراح الواسع والبراءة البكر.

من الذى حدّد لنا بعد ذلك كلّ تلك الحدود التى تملأ عقولنا، ووضع كلّ هذه الأطر والمسافات، والحدود والفواصل بين مشاعرنا، وأجسامنا وغرائزنا، ووصف الحبّ والعشق بالحرام، ووثّق القهر والعلاقات بقسيمة الزواج الحلال، وحلّل للسماسرة والتجار بيع الأراضى والبيوت،

والمواشى، وأطلق على عملهم "المكسب الحلال"، وحرّم على الفلاحين بيع محصولهم فى السوق بأنفسهم؛ ليعالجوا الحمّى والفيرس الكبدى؟، كيف استحقّ التجار دون جهد كلّ تلك الثروات، وتجاهلوا عرق عمّى "أبو عيشة" و"فرغلى" و"سلمان" المزارعين البسطاء؟!، من حلّل مكاسب التجار، وحرّم على الفلاحين الشّقيانين العلاج؟

أين الآن هذا البراح والبراءة؟.. لماذا تذكّرتهم فجأة؟، ألم تسهم أنت الآخر فى بناء المنازل على حقول البطاطا؟.

اليوم تأتى وتتساءل، بعد أن بهرتك أضواء المدينة وتركت القرية بمن فيها، تتساءل عن البراح بعد أن خُنت الأمانة، وعشت وسط التجار وأصحاب المحلاّت والمقاهى، وعرفت أنّ لكلّ شىء ثمنًا وأنّ كلّ شىء بحساب، على قدر ما تدفع سوف تحصل، ليس هنا براح كالذى عِشته فى أيّامك الأولى.

بهرتنى أضواء المدينة، فخاضت قدماى بألوان الملابس المزخرشة، وشعور النّساء الملوّنة، استمتعت بالشعاع الباهت الآتى من الأضواء المنتشرة على المحلات.

اليوم يتساءلون عن براحى، بعد أن سلبوا روحى بكارتها، وأضافوا للقسوة التى ورثتها من غلّ وحقد الأهل والجيران معانى بالية حول الثمن، كلّ شىء يمكن أن تشتريه هنا مادمت تملك الثمن، لكنّك أبدًا لن تحصل على البراح

والبراءة لتشتريهم.. إنّها سلع نادرة لن تحصل مرة أخرى عليها؛ لأنّك أنت الذى بهرتك أضواء المدينة.

عشت سنينًا أجرى خلف شعاعها الفتّان أبحث عن لحظة أمان كتلك التى عشتها، وفقدته نتيجة انبهارى بهذا الشعاع الكاذب، هل يمكن أن أعود مرةً أخرى هناك، وأركب الحمارة البيضاء، وأمر وسط كل تلك الحقول ليملأ روحى البراح بسماع أسرار الفلاحين، وأشمّ رائحة مواشيهم ونضارة زراعتهم؟، هل يمكن أن أعود؟.. هل أجد المصرف والمواشى والزراعات؟، هل أجد الفلاحين ومسّاح القرية الذى لم يكن يحدّد عقله أية مسافات أو حدود؟ بهرتهم جميعًا أضواء المدينة، وضاعوا بين شعاع أنوار المحلات، نسوا الفضاء الذى لم تكن تحدده الفواصل.. أين هؤلاء الفلاّحون والأحلام البريئة؟، أيتذكّر أحدٌ شيئًا؟ أفقدتهم الأضواء الذاكرة.. نسوا "دلال" المسّاحة، وحكايات البراح والعشق بعد أن حدّدوا الفواصل والمسافات بين الحلال والحرام، والصّح والخطأ.

من الذى تحايل علينا ليترك جشع التجار ينتشر، ويخرم البراح لتبور الحقول، وتضيع مياه النيل فى الطرقات؟، كيف استطاعوا أن يغلقوا عقول الناس، ويجبروهم فى رضا بالحبس فى زنازين سمّوها غرفًا، ليصحوا كلّ يوم يغتسلون ويدخّنون سيجارتهم، وينزلون من غرفهم المحدّدة والمغلقة لحوارى لا ترى نور الشمس، ليركبوا باصات مملوءة بجثث بشرية ترمى بنفسها بالورش والمصانع، والمتاجر والمقاهى،

ولن تكسب شيئًا من عملها سِوى فقدان معنىَ جديد إضافى للبراح.

ببراعة الحاوى تمكّن التجّار، ومدّعو النبَوة تحويل اتجاهات الناس، فبدلاً من يومياتهم البريئة المبهجة المملوء بكارة وحباَ أصبحوا آلاتِ صمّاء تجرى فى الشوارع؛ لتنحشر بـ الباصات ليحصلوا على فقدانٍ جديد لغرائزهم البشرية، أين الاستمتاع بالأمل وعشق الحياة، وأحاسيس البهجة التى كانت تملؤنا، ونحن نغنّى ونرقص ا بتهاجاً بالحصاد؟!

كيف قَبِل الناس هذا الانجراف والقهر لفقد إنسانيتهم، ونسوا حكايات "زُليخة وطعيمة، وبوعيشة والبشندى" الأجداد الأوائل الذين ضحّوا بكلّ شىء من أجل أن يبقى البراح مفتوحاً للجميع؟، هل نسوا تلك التمردات التى مرت بها البلدة والصّراعات التى جرت على هذه الأرض حتّى لا يفقد الأجداد الأوائل الفضاء الواسع الذى يملأ قلوبهم جميعًا.

لماذا تركوا جماعات من الناس تُسمّى "سماسرة"، و"مهلبتية" أن ينتحلوا حمل الأمانة زوراً، ويتحكّمون فى كلّ شىء، ويحدّدون معانى الجمال والقبح، ويضعون فواصل وطرقًا صغيرة للسّير فيها، ويصنعون الحوائط والأسقف؛ لنتحول جميعًا لفئرانٍ تحيا وسط الشقوق وتخاف من النّور؟

أية مصالحِ خاف عليها الناس دعتهم لفقدان معنى حياتهم، ووافقوا على حرمان مشاعرهم معايشة لحظات الأمان والعشق والبراح؟ أية كنوزٍ للذهب والماس تُساوى لحظة صفاء واحدة كالتى كنا ننعم بها أيام القرية القديمة؟، كيف خسرنا دفعة واحدة كلّ هذا الحلم؟!

تركنا أنفسنا لتنهش روحنا الذئاب والكلاب كأنّنا لحمة عفنة، فخسرنا أنفسنا حين خسرنا دين الحب، وقبلنا أن نستبدل النعناع الطبيعى الذى كانت رائحته تملأ سماء البلدة بروائح نتنة تملأ الآن كلّ المنازل والشوارع والحوارى، ونترك الصبية فى الشوارع ببلادة لتبيعه بزجاجات صغيرة عَلَّها تُعطِّر رائحتنا العفنة؟ أىّ عطرٍ يمكن أن يغيّر رائحتنا الآن، بعد أن حبسنا الورد داخل زجاجاتٍ أنيقة؟!

اليوم وبعد أن بهرتنى أضواء المدينة، وحُبست كباقى أهالى البلدة فى غرفة أشبه بجحر الفئران أتحسّر على كلّ الحكايات القديمة عن البراح والعشق، وليالى الأنس وجلسات السّمر التى فقدناها بدعوى المصالح.

أتذكّر البراح الذى كنّا ننعم به، ويظلّلنا أثناء خروجنا من جامع السّلمانية الذى كانت تلفّه أشجار الياسمين، والمحرم دخوله على الملتحين وقتها.

كان الشيخ "محمود عتابى" يحكى معنا فى خطبة يوم الجمعة عن الأمان والعشق، لم يكن يتفوّه أبدًا إلا بالجنة التى نحيا فيها، وتنتظرنا فى الآخرة، لم نكن نسمع فى خطب

المساجد القديمة أىّ كلامٍ عن الغلّ والنار والجشع والتجار، كان الحبّ الذى يشعّ من أشجار الياسمين خلف المساجد كفيلاً بطرد الشر، وغلق مجارى جهنّم!!

اليوم لم يعد فى المساجد سوى الحديث عن القبر وعذاب النار، والحدود والحرام، والخطايا والظّلم، والحقد والغلّ.. أهذا هو الدّين الذى ملأنا بالعشق والبراح ليمنحنا الكمال؟!، اليوم نسمع عن دينٍ جديد ينتشر بالمساجد والكنائس لا يتحدّث إلا عن نواقصنا وخطايانا.. إنّ أماكن العبادة والعشق تحولت هى الأخرى لمرتعٍ للتّجار؛ ليقهرونا ويُخيفونا مرةً أخرى باسم الدّين الذى كان أجمل ما فينا.

كانت الخُطب القديمة تحكى عن الآباء والأبناء، ورقّتهم وحبهم للبشر، وعطائهم الدائم، وعشقهم للنساء والعمل، وجلسات السّمر والذّكر، والحبّ الإلهى الصّافى.

أسير اليوم وسط الحوارى الجديدة المملوءة بزوايا سمّوها بيوت الله لا أسمع إلا ضجيجًا وأحاديث قبيحة عن جهنم والشياطين، أين البهجة التى كانت على وجوه المصلّين وهم يخرجون من صلاة العصر يفترشون المصطبة التى تحيط الجامع، يلعبون السيجة والدومينو، يحكون عن نوادر البلاد والأجداد، والشيوخ الأوائل الذين عمّروا الدنيا، فقاموا ببناء أضرحة لهم وسط منازلنا؛ لنحتفل بمولدهم كلّ عام، ونتبارك بهم ليشفوا المرضى، ويزيدوا ناتج المحصول ومناوبات المياه فى أيام الجفاف؟!

أين هؤلاء الآلهة الذين كنا نقيم لهم الموالد؛ ليخلقوا فينا من جديد براحًا وبراءة تظلّلنا طوال العام لنعشق الهواء الذى نتنفسه، ورشفات المياه التى نشربها؟!، أين هؤلاء الشيوخ أو الآلهة؟ لماذا اختفوا الآن ؟ أنرفع أسقف المنازل رويدًا رويدًا لنزيد مساحة النّور، وترتفع قامتنا لنشاهد الحقول الخضراء من الشبابيك التى ردمها أسفلت الشوارع، أم نخرم الأسقف التى أحنت رءوسنا لنسمح لنور الشمس بالدخول، أم نصرخ فى السّماء لتهدم الأسقف وتحرق الكفرة؟

هل يمكن للفئران أن تنعم بنور الشمس والحبّ خارج حدود جحورها مرةً أخرى؟!

اليوم أعود مرةً أخرى، وأحلُم بهذا الطفل الذى كان يركب حمارته البيضاء، ويسير من حقلهم بجوار مطار إمبابة حتّى منزلهم بالورّاق، مخترقًا الحقول، يستمتع بالبراح والفضاء الذى كان يملأ روحه.. وقتها لم يكن إلا الحبّ الإلهى الصّافى الذى يكتمل فينا.

اليوم يتساءل الطّفل العائد حالمًا بالعالم الواسع المملوء بالأمان.. من أفقدنا مساحات الرضا التى كانت تملأ قلوبنا؟!. هل المعتقدات الجديدة التى سرقت مشاعرنا، وفصلتها باسم الحرام والحلال؟!

اليوم يتساءل عن ربّه الذى هجر الأرض ليترك السّماسرة والتجار يبيعون ويشترون الهواء الذى يحيط سجوننا التى يسمّونها غُرفًا.

تمادَوا فى جشعهم، فاستولوا على الماء ووضعوه فى زجاجات، لنشرب ونتنفّس بحساب، كيف تركنا إلهنا الرحيم؛ ليتحكّم فينا هؤلاء المتوحشون والشيوخ الذين لا يملكون إلا الحديث عن القبح والغلّ، والكره والنار والشياطين؛ لينزعوا منّا التسامح والقبول؟!

اليوم أعتقد أنّ الله الجميل يرانى ويسمعنى؛ لأنّى أراه وأسمعه، وسوف يعود مرةً أخرى، لينزع من قلوبنا هذه الكتل الخرسانية، ليترك مكانها خاليا، لينشر فى روحنا البراح.

اليوم أعتقد أنّ الله قادرٌ على أن يهدم تلك الجدران، والزوايا الجديدة على رءوس شيوخ القبائل؛ لنستعيد إنسانيتنا وبراءتنا.

فيا ربّ هل ترانى وتسمعنى؟، هل تنجدنا وتحمى قلوب أهل قريتى الحيرانة من غلّ التجار؟.. وترفع البِرقع من على وجوه النساء ليزنّ بجمالهنّ ومفاتنهنّ، وشعورهنّ، ونهودهنّ حياتنا المظلمة، وتأمر بسيف ميزانك العادل بالحبّ، لينعم من يعطون عرقهم وجهدهم لمدينتك الفاضلة بالأمان؟.. هل تعود لتُوقف صرخات الشرّ فى أماكن سمّوها بيوت العبادة، بعد أنْ ملأوها بالقبح والكره والغل؟. يا ربّ

إننّى أراك، وأثق أنّك ستعود لتحمينا وتُعيد لنا البراح والأمل..
يا ربّ لا تخذل دعاء عبدٍ آمن بك.

ملف القضية
شهادات وأراء
وبيان

٦٤ منظمة حقوقية عربية تطالب بإسقاط الاتهامات الموجهة للكاتب كرم صابر والحكم الجائر بسجنه ٥ سنوات علي خلفية مجموعة "أين الله" القصصية

مواقف وبيانات

قالت المنظمات الحقوقية الموقعة علي هذا البيان "إن الكاتب والحقوقي كرم صابر سيمثل غداً الثلاثاء ١٠ سبتمبر أمام محكمة جنح ببا بمحافظة بني سويف لنظر أولي جلسات الطعن بالمعارضة علي الحكم الجائر الصادر ضده في مايو ٢٠١٣ والقاضي بسجنه ٥ سنوات غيابيا، وذلك في القضية التي حركتها النيابة العامة ضد الكاتب بتهمة ازدراء الأديان على خلفية بلاغات الحسبة المقدمة من قبل بعض المحتسبين ضد الكاتب وتطالب بمحاكمته علي تأليف ونشر مجموعة (أين الله) القصصية.

وتعود وقائع القضية إلى ١٢ أبريل ٢٠١١ حين قام عدد من المواطنين بمحافظة بني سويف بالتقدم ببلاغ يحمل رقم ٦٠٠ لسنة ٢٠١١ إلى المحامي العام لنيابات بني سويف، يتهمون فيه "كرم صابر" بإصدار مجموعة قصصية تحمل اسم "أين الله"، تحتوي على ١١ قصة، يتهمونه بازدراء الأديان، وعلي إثر ذلك قامت النيابة العامة بفتح تحقيقاتها في ذلك البلاغ دون أن تنظر إلى مدى جديته، بل قامت بعرض الرواية علي أحد المنتسبين إلى كنيسة بني سويف الأرثوذكسية والذي قال بأن

الكتاب ضد أسماء الله الحسنى، كما عرضتها علي مسئول إداري بإدارة البحوث والتأليف والترجمة -التابعة للأزهر الشريف، والذي استنكر بعض الألفاظ الواردة واقتطاعها من سياقها واعتبارها تعدى وتطاول وسخرية، رغم أنه غير مختص بإبداء الفتوى، وعقب ذلك قررت النيابة إحالة القضية إلى محكمة الجنح والتي قضت في جلستها المنعقدة في ٧مايو ٢٠١٣ بتوقيع أقصى عقوبة علي الكاتب وهي السجن ٥ سنوات غيابيا.

وقد أبدت المنظمات الموقعة تحفظها علي التصرف الغير مفهوم من قبل النيابة العامة، ولجوءها للحصول علي تقارير من قبل منتسبين للكنيسة والأزهر بهدف إدانة الكاتب، بالرغم من أن هذه المؤسسات الدينية ليس من حقها إبداء الرأي في أي عمل أدبي أو إبداعي، لأنه لا يدخل في إطار اختصاصها ولا تعد السلطة الدينية مسئولة أو مؤهلة للحكم علي الأعمال الإبداعية التي يجب أن يُترك الحكم عليها للنقاد الأدبيين والجمهور، الذي يملك حق قراءتها أو تجاهلها.

كما تُبدي المنظمات الموقعة تحفظها علي العديد من المخالفات القانونية التي شهدتها التحقيقات والمحاكمة فبجانب "استكتاب" منتسبون إلى الكنيسة والأزهر ضد الرواية، وتقديم ما كتبوه ضمن ملفات القضية إلى المحكمة، فإن المبلغون أخفوا معلومات من شأنها تغيير الاختصاص القضائي المكاني للمحكمة، حيث أنهم اتهموا الكاتب بأنه هو نفسه ناشر المجموعة القصصية وأنه من قام بتوزيعها،

وتجاهلوا قيام دور نشر معروفة بالقاهرة بنشرها وتوزيعها وتجاهلوا قيام مؤسسة الأهرام ومقرها الرئيسي في القاهرة بتوزيع الكتاب، وتجاهلوا أن مكان إقامة الكاتب الفعلي في القاهرة، وذلك لأنهم كانوا يستهدفوا أن يتم نظر القضية أمام محكمة بعينها رغم أنها محكمة غير مختصة مكانيا بنظر الدعوي.
وأعربت المنظمات الموقعة عن قلقها البالغ من قبول النيابة العامة لبلاغات من أشخاص ليس لهم صفة أو مصلحة سوى تكميم الأفواه و تكبيل حرية التعبير، مما يفتح الباب للتكفيريين والظلاميين بإساءة استخدام حق التقاضي لفرض رقابة علي الإبداع والزج بالكتاب والأدباء والمبدعين للمحاكمة أمام المحاكمة الجنائية علي خلفية أعمالهم.

إن المنظمات الموقعة تُحذر من استمرار الدولة في التراخي في التعامل مع قضايا الحسبة الدينية والسياسية لما تشكله من خطر علي حرية التعبير والإبداع لأنها تسمح للغير مختصين والظلاميين بفرض نوع من الرقابة عي الأعمال الإبداعية،والتي لا يختص بالحكم عليها سوي الجمهور والنقاد.

إن المنظمات الموقعة على هذا البيان وهي تطالب بإسقاط كافة الاتهامات الموجهة للكاتب كرم صابر فهي تناشد لجنة الـ٥٠ والدولة المصرية بوضع التعديلات التشريعية اللازمة للتصدي لقضايا الحسبة وعدم السماح بعودة محاكم

التفتيش، التي تستهدف حصار حرية الإبداع وحرية التعبير وتضربهما في مقتل.
المنظمات الموقعة

١. الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان
٢. التجمع الوطني لحقوق المرأة والطفل/سوريا
٣. التحالف السوري لمناهضة عقوبة الإعدام(SCODP)
٤. التنسيقية الوطنية للدفاع عن المفقودين في سورية
٥. الجمعية المصرية للنهوض بالمشاركة المجتمعية
٦. جمعية حقوق الإنسان أولا بالسعودية
٧. دار الخدمات النقابية والعمالية
٨. رابطة الحقوقيين السوريين من اجل العدالة الانتقالية وسيادة القانون
٩. الرابطة السورية للحرية والإنصاف
١٠. صحفيون بلا حقوق
١١. لجان الدفاع عن الحريات الديمقراطية وحقوق الإنسان في سورية (ل.د.ح).
١٢. اللجنة العربية للدفاع عن حرية الرأي والتعبير
١٣. اللجنة الكردية لحقوق الإنسان في سوريا (الراصد).
١٤. المبادرة المصرية للحقوق الشخصية
١٥. مركز الجمهورية للدراسات وحقوق الإنسان
١٦. المركز السوري لتأهيل ضحايا العنف والتعذيب
١٧. المركز السوري لحقوق الإنسان
١٨. المركز السوري للتربية على حقوق الإنسان
١٩. المركز السوري للديمقراطية وحقوق التنمية

٢٠. المركز السوري للعدالة الانتقالية وتمكين الديمقراطية
٢١. المركز السوري للعدالة الانتقالية (مسعى)
٢٢. المركز السوري للمجتمع المدني ودراسات حقوق الإنسان
٢٣. مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان
٢٤. المركز الكردي السوري للتوثيق
٢٥. مركز اللؤلؤة لحقوق الإنسان
٢٦. المركز المصري للحقوق الاقتصادية والاجتماعية
٢٧. مركز النديم لتأهيل ضحايا العنف والتعذيب
٢٨. المركز الوطني لدراسات التسامح ومناهضة العنف في سورية
٢٩. مركز أوغاريت للتدريب و حقوق الإنسان
٣٠. مركز ايبلا لدراسات العدالة الانتقالية والديمقراطية في سورية
٣١. مركز قضايا المرأة المصرية
٣٢. مركز هشام مبارك للقانون
٣٣. مركز وسائل الاتصال الملائمة من أجل التنمية "أكت"
٣٤. المنبر السوري للمنظمات غير الحكومية (SPNGO)
٣٥. المنتدي الخليجي لمؤسسات المجتمع المدني
٣٦. منظمة الدفاع عن معتقلي الرأي في سورية-روانكة
٣٧. المنظمة العربية لحقوق الإنسان في سورية
٣٨. المنظمة الكردية للدفاع عن حقوق الإنسان والحريات العامة في سورية (DAD)
٣٩. المنظمة الوطنية لحقوق الإنسان في سورية
٤٠. منظمة حقوق الإنسان في سورية - ماف
٤١. مؤسسة المرأة الجديدة

٤٢. المؤسسة المصرية للنهوض بأوضاع الطفولة
٤٣. مؤسسة حرية الفكر والتعبير
٤٤. مؤسسة فلسطينيات
٤٥. هنتكلم "من أجل حرية التعبير"
٤٦. الهيئة الأردنية للثقافة الديمقراطية

رأي الأستاذ الدكتور مدحت الجيار
أستاذ الأدب العربي بجامعة الزقازيق

قضية مجموعة (أين الله) تقوم علي تفاعل ثلاثة مستويات ومحاور؛ وهي:

١) ـ نوع السلطة الموجودة في الحكم في مصر، هل هي سلطة دينية أم ليبرالية ؟ فالسلطة هى التي تصنع المناخ الخاص بالتلقي.

٢) ـ السياق الاجتماعي الذي يخرج فيه العمل إلي النور.. هل يسمح السياق الاجتماعي أم لايسمح؟.. ولعل أفضل مثال علي هذا هو منع رواية أولاد حارتنا للأديب نجيب محفوظ في مصر، والسماح لها في لبنان، لأن السياق الاجتماعي مختلف، وهو الذي يقرر.

٣) _ عدم إلمام القضاء بالقضية المعروضة عليه، لأن القاضي ليس أديباً وفناناً و ناقدآ مختصصآ بتقدير النص وتأويله الفني.

لقد عاقبنا طه حسين علي اجتهاده، لكنه الذي انتصر في النهاية ، كما عاقبنا مجموعة من العلماء و الف لاسفة لأنهم خرجوا عن السياق العام لكنهم الذين انتصروا في النهاية.

رواية أولاد حارتنا للأديب نجيب محفوظ التي رفضها الازهر لأنه رأى فيها شبهات لم ترق له حول شخصية الجبلاوى (الشخصية الرئيسية) بالرواية، يمكن تأويلها علي أنها ترمز إلي جمال عبد الناصر الضابط الذي يشغل رأس السلطة ويتحكم في الجميع، بينما اكافى الأزهر بالتأويل القائل بأن الجبلاوي هو الله دون أن يكون كذلك.

إن مهاجمة طه حسين كانت بسبب المنافسة التي هاجمته لأنها كانت لاتريده، وليست القضية قضية نص أو رأي ، كذلك فإن محاكمات الأدباء/الكتاب علي نصوصهم هي محاكمات انتقائية/انتقامية تأتي علي حسب شخصية الأديب وليس علي حسب النص، و ليس النص إلا تكأة لهذه المحاكمات، والتي قد يكون المقصود منها تعطيل الكاتب عن مشروعه و إبداعه.

سؤال أين الله سُئل للإمام مالك من قبل حول تأويل أية الكرسي من سورة البقرة.

أهم ما في هذه القضية و ينسفها، هو أن الواقعية في الأدب اختيار ووجهة نظر، وليس معني اختيار الكاتب للمشهد أو الشخصية أنه متضامن معها لأن المقصود من الاختيار هو تعرية الواقع و فضحه و كشفه.

وقد يكون القصد من هذا الاختيار هو إدانة النموذج أو المشهد الواقعي ونقده بتعريته، والسياقات التي اختارها الكاتب هي سياقات توضح السخرية مما هو مختار لفضحه و تعريته و إدانته.

فالسخرية و التهكم يعتمدان علي وضع المتناقضين في لحظة واحدة، و هذا هو مصدر الفكاهة.

رأى مى محمد رفعت

كرم صابر، مواطن مصرى،من أقصى ضمير الوطن وقاع تربته الطينية،محامٍ، حقوقي نشط يرتبط عمله في هذا الشأن بالأرض ومشاكل الفلاحين وحقوقهم. وعلى ها في كل أعماله الإبداعية يتحدث عن العمل ويحض عليه من خلال أبطال شخصيات رواياته وينادى بالعودة للفطرة والطبيعة والإحساس بالجمال الربانى الذى أودعه الله في كونه من روحه التى أودعها فينا.

النوم في الصلاة، هى المفتاح المنير الذى يلقي الضوء لذلك القلب المغلق على خضار من براح المروج / حقول الفلاحين / الأرض / الأم والوطن.

اللبنة الأولى للمجتمع الأسرة، والنموذج المقدم في العمل الأدبي لصيق بالفطرة وبساطة وعمق أرض وادى النيل، دعائمه ثلاثة أركان هم شخصيات الأسرة، الأب، الكدح والعمل، الخبز من صهد الفرن، الطعام البسيط من قمح الأرض. الأم ذات التكوين الطيب يأتى منبعه من تضافر إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، والنية مصدرها القلب، وهى تتمتع بقلب من قطن حقولها، والثانى إن الله لو أمر للمرأة أن تسجد بعده فليكن السجود لزوجها، ولأنه السقف والجدارن للمنزل فهى تقطع الصلاة لترد عليه وتفتح الباب ثم تكمل صلاتها محطمة نهره لها عن ذلك، والأبن الجيل المستقبل تائه في الاستمتاع بشبابه متحملاً خطر اتقاده برمزية عمله في مخزن أسطونات البوتجاز. الأسرة في

مجموعها صافية تتبع سماء الله وروحه حتى لو احترفت أخطاء من وجهة نظر الآخرين إلا أنها متسقة مع ذواتها.

إذا كانت اللبنة من الطين النيىء فعلى من لديهم الوعى أن يقووا بالعلم وتصحيح المفاهيم هذا النموذج الموجود على أرض الواقع المعايش لا رفضه.

هناك قضية عامة يطرحها الكاتب من خلال المجموعة القصصية في عدة مواضع كمطلق وجودى وصفة من صفات الله التى خص بها نفسه في أسمائه الحسنى بأنه العدل ،قضية تعددت صورها من عدل إلهي، وعدل مجتمعى، وعدل في المعاملة الإنسانية بين الأفراد وبعضهم البعض.

وبغيابه يقع الإنسان في أتون القنوط من الله والتمرد على تعاليمه والشعور بالظلم البين، حتى يصل إلى مرحلة الكفر بالحياة وإزهاق الروح، هذه المعانا الناتجة من عدم وجود العدالة الاجتماعية في الموازنة بين أرزاق البشر وثرواتهم معاناة تفوق القدرة البشرية على التحمل فتتنطلق عذاباتها بسلبية تهدد وجودها.

منها على سبيل المثال استباحة الشيخ طه قتل نفسه بالانتحار بقذفها في بالوعة الصرف الصحى، هانت دنياه في عينيه لأنه لم ير إلا سواد الظلم برغم شدة إيمانه.

وفي الفقري : نفذت طاقة التحمل للمصائب المنهالة على البطل حتى جاهر بعتابه لله : ربنا إيه يا خوى... هوّ ربنا كان بيزرع.... ربنا عرف احنا عرقنا قد إيه علشان نحرث ونبذر ونسقي، يا ناس يا كفرة، ربنا ماله ومال الحرامية والأرض والزرع.

التناقض بين شدة الاحتياج لعدل الله والغضب من عدم تحققه، لاينفي الإدراك التام لأن غياب العدل ناتج من وجود حرامية تسرق العرق والمحصول، وهو لاينتظر ميزان العدل القانونى بل يجأر بميزان عدل إلهي سريع، غضب عندما لم تبطش به يد الله ، أى ألم سحق آدميته حتى وصل لهذا الحد ؟!

وفي ورقة المأذون البالية، ليس الزنا هو مركز الحدث برغم أن كل الضوء مركز على ديناميكية التصاعد والفتور في العشق بين شخوصه، ولكن الطرح الحقيقي هو فتور الحياة بالمعتاد والروتين حتى تصبح قالبا جامدة يسير على أرجل، فالعودة لمنابع بهجة الحياة المتمثلة في شجرة الجميز هو تجدد الروح، هى ليست دعوة كما يظهر على سطحها للزنا، بل هى صورة شديدة الصراحة كنيجاتف سلبى موجود بإيجابية في الحياة، والأكثر سلبية طريقة الحل للقضاء عليها باجتثاث الشجرة وبناء جامع بالأسمنت كرمز دينى يزيد من تعقد المشكله. الدين روح ، من روح الشجر وغناء العصافير، لا من قوالب طوب متراصة صلبة العقل،خالية من الروح تعتمد على صرامة النصوص. الفطرة حياة خضراء متمردة على الأعراف وقوالبها.

ست الحسن

في بعض النصوص الأدبية، يتفوق النص علي زمن كتابته ويتعدها إلى أزمنة أخرى، ويستوعب نسيجه الإسقاط الرمزى لكل فترة تاريخية تمام المواءمة كأن النص كتب بطزاجة الحدث، وهنا الإسقاط السياسى الرمزى يصلح للفترة التى عاشتها مصر عام ١٩٦٧، ويصلح لإسقاط سياسى آخر لفترة

حكم الرئيس السابق محمد حسنى مبارك، ويصلح للوضع الآنى للدولة المصرية على اعتبار الرب هو القوة المتغطرسة المتحكمة في العالم وهى القطب الأوحد بعد تفكك روسيا "أمريكا" وست الحسن هى مصر في جميع الحالات وحسن هو الشعب، من هذا المنظور يمكن قراءة النص بصورة أقل حدية من التطاول على الذات الإلاهية، لأن زاوية الكتابة متخذة التاريخ ملمحاً مدخليا أو إطاراً لفنتازيا العرض الأدبى كإطار لأطروحة الكاتب، ولأن الحكم في مصر القديمة كان قائماً على تأليه الفرعون،فهذا هو ما فعله الكاتب أن حاكم البلاد هو ربها الأعلى، واللغة الأدبية لاتتطلب أن تشرح مقصد الكاتب بل تترك الرؤية للمتلقي، وكلاً بحسب ثقافة رؤيته.

وفي جميع المعانى ينادى الكاتب بموقفه لصالح الشعب وقواه العاملة والكفاح من أجل البناء حتى لوكانت أحلاما، للفوز بقلب الحبيبة الوطن ست الحسن والخروج بها من جنة استحواذ الطبقة الحاكمة وسلطاتها المقيدة للحرية، "رفض الجنة "

الأخضر لون يحمل معانى النماء،الاستمرار،البهجة، فرح العين، طمأنينة القلب، ليونة وبسطة في الفكر، الخضار يتخذ حياته من مصدر مائى عذب لونه من إحد الألوان القزحية حياة عمقها من غرين الطمى الأسمر. لون يحمل رؤيه الكاتب بتأمل عميق.

والمتأمل في اتصال قمم الأشجار بالسماء، غير المتأمل في الحد الفاصل بين أصفر الرمال والجبال وأزرق السماء في الصحراء ، كلاهما يحمل رؤية وعقيدة إيمانية يختلف منظور التعبير

عنها بحكم بيئة التواجد ، اتجاه النظر صوب زرقة السماء ونور الله.

اتساع النظرة من محدودية حدقة العين إلى اتساع دائرة الكون، هى الوسيلة لجعل السماء القاسم المشترك بين الأخضر والأصفر لإنتاج وعى ثقافي ينهض بكل ما هو سلبى وتحويله لإيجابى، بدل من سلبية النقد والهجوم بالمنع والحذف، الوعى سلاح لاتساع الحدقات فترى العين رؤية أكثر عمقاً من السطح، الإنارة الخضراء التوضيحية لعقول البسطاء هى البناء وهذا أكثر صعوبة وجهد من معاول الهدم.

العمل على الترابط بين مفاصل الوطن هو الفلاح على جميع المجالات وتعددها..الوعى يا أبناء رمانة الميزان ، وقلب العالم.

رأي نقدي للناقد/ عبد الغني داود
الكاتب والناقد

أري أن مجموعة أين الله تعتبر أنشودة فيحب الله، فالمجموعة في مجملها يمكن أن تلخصها أبيات شيخ متصوفة المسلمين ابن عربي التي يقول فيها :

لقد كنت ألقى بصاحبي من قبل
إذا لم يكن دينه إلي دينى داني
و قد صار فلبي قابلاً كل صورة
ومرعي لغزلانٍ وديرا لركبانٍ وبيتًا لأوثانٍ وكعبة طائف...
أدينُ بدين الحب أين توجهت ركائبه\الحب ديني وديداني

إن ابن عربي في الأبيات السابقة يتحدث في البراح الذي يكاد أن ينشده علي الربابة.

الحدث في المجموعة القصصية أين الله غير مركز بالمرة، وهذه طبيعة هذه المجموعة الفنية، فما قدمه الكاتب خلال عرضه للممارسات الدينية لأبطال قصصه، هو الشكل المصري للتدين، ولم يبتكر الكاتب هذا الشكل ولم يضف له من خياله الفني شيئًا.

الإيمان المصري بالله شيء بدائي قديم قدم التاريخ منذ عصور الفراعنة. وقد اتخذ الكاتب من أسلوب الفلاح الفصيح مثلاً أعلى له فحاكاه في بعض المقاطع النصية في المجموعة مثل دعاء الافتتاح.

في القصة الأولى (النوم في الصلاة) عبر الراوي عن نكته ظريفة جدًا و من الجائز حدوثها في الحياة الواقعية وفي أي مكان و مع أي شخص.

و عندما يقولا لراوي أن الله في كل مكان ولا تحتاجوا إلي الجوامع ولا إلي الصراخ للتواصل معه، فهذه لغة لن يفهمها رجال الدين و لن يرضوا عنها لأنها لغة أدبية..(فمقابلتي لاتحتاج إليك لهذا الضجيج يا كفرة).

وفي قصة اليوم الأخير ؛ يحلم بأن الرب يوزع أجولة الدقيق والبقول، وأنها أشبه بكرة المائدة من السماء، وهي أكثر جرأة في التناول من قصة يوسف إدريس.

الكاتب لم يختلق الحقائق، ولكن هي سرد ما يمكن أن نجده في الواقع، و هو مخلص جدًا فيسرده لبيئته التي ينتمي إليها.

«أين الله؟».. فى المحكمة!!

ابراهيم عبد المجيد

نشرت فى جريدة اليوم السابع

الجمعة، ١٨ أكتوبر ٢٠١٣

أين الله سؤال حارت فيه البشرية منذ ظهور الإنسان على الأرض. تاريخ البشرية هو من ناحية تاريخ البحث عن الله. استقر الإنسان على أشكال من الألوهية انتهت بالتوحيد. لكن لا يزال من لا يرى فى التوحيد نهاية ويلوذ بإله من بنات أفكاره أو خبرته فى الحياة أو ابتعاداً عن مسألة قد تشغله أكثر مما تشغله الدنيا من حوله. أين الله فى الفلسفة سؤال محورى عند كل الفلاسفة الكبار. ماديون رأوا العالم مستقلا عن أى إرادة سابقة لوجوده، ومثاليون جعلوا على قمة العالم محركا أول، أو سببا لا تسبقه أسباب للوجود. وطبيعى جدا أن ينتقل السؤال إلى الأدب فشغل مساحات كبيرة فى أعمال روائية وقصصية عالمية ومصرية وعربية أيضا. تراثنا فى استقبال السؤال أدبيا، أى فى الرواية أو القصة أو القصيدة ليس طيبا فى مجمله لأن ثقافة تلقى العمل الأدبى هى ذاتها ثقافة تلقى المقال الفكرى. فلا أحد يفرق بسهولة بين ما تنطقه الشخصيات ذات الأزمة فى العمل الأدبى والكاتب، ويتم المزج بينهما، بينما الحقيقة أن الكاتب مستقل عنها لأنه لو كان هو الشخصيات القلقة فمن يكون الشخصيات غير القلقة فى العمل نفسه؟ الصدق الفنى يجعل الكاتب يخضع لثقافة ومشاعر الشخصية الفنية التى لا علاقة لها به هو. زادت مسألة الهجوم على الكتّاب بسبب هذا المزج

الخاطئ بينهم وبين شخصياتهم بشكل كبير فى الأربعين سنة الماضية بعد ارتفاع شأن من سموا أنفسهم بالإسلاميين وصار الهجوم على الأدباء مهنة وطريقة فى مجلس الشعب لجذب الأضواء إلى صاحبها. رفعت قضايا حسبة متكررة شملت مفكرين وأدباء. وقضايا لمصادرة الكتب ورقابتها بينما لا توجد رقابة على الكتب منذ عام ١٩٧٨. وصار الهجوم من بعض الإسلاميين فى مجلس الشعب وخارجه طريقا للفضائيات والإعلام شغلتنا عن بلادنا وأحوالها السيئة كثيرا بينما العمل الأدبى لا يفرضه كاتبه على أحد. ينزل الكتاب السوق فيصبح سلعة تحبها أو تكرهها. تشتريها أو تعيدها للبائع. تحتفظ بها أو تلقى بها. وهكذا لا يفرض الكاتب على أحد أن يقرأ ما ينتجه فى السوق حتى لو أهداه لك. لكن لا فائدة فى هذا الكلام. لمن تتحدث والذى يرفع القضية يعرف أنه سيكون فى التليفزيون فى اليوم التالى. أو على أقل تقدير سينام قرير العين متصورا أنه يدافع عن الله أو الدين ولا يقول رأيا فيما يراه من ظلم واقع على الناس من الحكم والحكام. ما حركنى للكتابة حول الموضوع الآن هو المجموعة القصصية «أين الله» للناشط والمحامى كرم صابر. لقد كتبت عن قضيته بإيجاز من قبل وهذه المرة أتيحت لى الشكاوى التى هى من قراء عاديين فى قرية واحدة يجمع توقيعاتهم شخص أو بعض الأشخاص. لن أقول كما يقال إن من فعل ذلك منافس للكاتب المتهم فى نشاطه. هذا لا يهمنى لكن يهمنى أن الشكوى ذهبت إلى النيابة التى فى عمل روتينى لها أرسلتها لجهات دينية. مجمع البحوث الإسلامية - منطقة الوعظ ولجنة الفتوى ببنى سويف - كما قال فيها وكيل

مطرانية بنى سويف رأيا صحفيا رافضا لبعض عباراتها سعى أصحاب الشكوى لضمه لملف القضية مما جعله يعلن أن هذا رأيه لكنه ضد حبس أى كاتب كما أنه كما جاء فى رأيه نفسه لا يفهم فى النقد الأدبى. طبعا لجنة الفتوى ببنى سويف وقفت عند نفس العبارات وأوصت بمصادرة العدد وأيدت الشاكين فى أنه عمل يشجع على الفتنة والإلحاد وغير ذلك من الكلام الكبير لمجموعة قصصية فى زمن عزت فيه القراءة لمجموعات القصص. هناك ثلاث دراسات نقدية مهمة للأساتذة عبدالغنى داوود ومدحت الجيار ومى محمد رفعت والهامى سلامة ترى جميعها أن المجموعة هى فى حب الله على عكس ما يرى الشاكون، وأشاروا إلى الحقيقة الفنية وأن أى عبارات فيها اجتراء على الله هى عبارات شخصيات ضائعة لا تجد عدلا حولها ويطولها الظلم ولا تعرف لمن تلجأ إلا إلى الله الذى يترك هؤلاء الظالمين حولهم. هى يمكن أن تتشاجر حتى معه بالقول من فرط يأسها. وفى الوقت نفسه فنيا الأمر لا يعدو نكتة وتصويرا لأشخاص مجانين أحيانا أو ظرفاء أحيانا أخرى لا أكثر ولا أقل. ولأنها كلها شخصيا ريفية تتذكر قصصا قديمة مثل مأدبة من السما ليوسف إدريس ويوميات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم أو حتى من المدن لنجيب محفوظ وقصة بنفس عنوان المجموعة اسمها أين الله ليوسف السباعى. موضوع مخاطبة الله قديم فى الأدب، وهنا لزيادة الظلم ترتفع نبرة الغضب أحيانا لكن فى النهاية يمشون فى نوره ويحبونه أو يتحول اليائسون إلى محل شفقة وسخرية من الآخرين. ثم السؤال الذى خفى على الجميع وهو الإهداء فى أول المجموعة

القائل «إلى الفلاحين فى بلادى الذين علمونا حب الخير والإيمان». كأنه يقول بشكل واضح إن الشخصيات الجانحة هنا تعبر عن وضع استثنائى نتمنى الخروج منه. فهؤلاء هم من علمونا الإيمان. ثم الدعاء الذى يفتتح به الكاتب المجموعة القصصية وهو «أيها الرب المقامر على أفئدة الملايين المؤمنة بجبروتك ساعدنا وانشلنا من براثن التفكك والدمار - وبالمناسبة كلمة المقامر هنا لا تعنى لعب القمار لكن تعنى أن عبيدك قد يخذلونك ويملأون الأرض فسادا - أيها الرب تنتظرك أحزان النساء لتبهج المتبقى من العمر. أين أنت؟ فى كل عام يمر نتذكرك ونقول فى السنة القادمة. حتى يقول لكن السنة تمر والأخرى ونحن ننتظر قوتك وصوتك العالى كى يخرس الظالمين ويعيد للبيوت ضحكتها ويفتح للأصدقاء والمحرومين أبوابك المغلقة لتشبع من دفء حبك وعيونك المملوءة أملا. حتى يقول أيها الرب أنت الأمل. عد إلينا». وهكذا فالدعاء الجميل هذا رغم أنه من قلب اليأس فإنه التعليق على سذاجة الشخصيات وضياعها مقدما. فالله موجود فى جمل تقريرية واضحة هنا تخص الكاتب نفسه لا شخصياته وغيابه لأنه غاضب من أفعالنا ولا معنى لأى يأس قادم فى القصص ولا فيما يقوله المحبطون إلا أن تعرف أنهم يائسون محبطون. أين الله الآن؟ فى المحكمة هى التى ستحكم بالعدل الذى سيتوفر تماما حين يكون النظر للعمل باعتباره قصصا عن أشخاص ضائعة وليس الكاتب الذى هو محامٍ ناجح. ليس للكاتب فى هذا الكتاب غير المقدمة والإهداء. والله هو العدل.

قراءه لمجموعة "اين الله- للكاتب كرم صابر
د.الهامي سلامه
نشر فى مجلة الحوار المتمدن- المحور: العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني

اول عمل في المجموعة هو "دعاء" الذي هو دعاء المطحونين والفقراء لذلك "الرب الجميل الذي ينتظرونة علي محطات القطار وعلي نواصي الحواري كي يهلك الظالمين ويعيشون في ملكوت رحمتة"، ولكن في مقابل هذا العشق هناك عتاب من عدم تحقيق "الرب" لمطالب مطالبية و عدم فهم اليات "الرب" للاستجابة لتلك المطالب ولعل كلمة المقامر علي افئدة الملايين هي تعبير عدم فهم ميكانيزمات تحقيق تحقيق مطالب مريدية.

ادعي ان التعبيرات الشعبية "لا تسأل مولاك اذا وهب" او "يعطي من يشاء" وغيرها الكثير من تلك المقولات الشعبيه التي نراها علي سيارات النقل والمحلات الشعبيه هي تعبيرات شديدة الدقة والدلالة في صياغتها لفكرة ان ما يحدث مع الانسان في العطاء والمنح لها قواعد لا يفهمها الانسان، ولذلك التعبير الادبي المقامر الذي يوحي بقواعد لا يفهمها اللاعب هو تعبير شديد الدقة للتعبير عن حيرة الانسان لعدم ادراكة او فهم ما مايحدث معه وحوله.

والتناقض ما بين احتياجات الانسان والاستجابة لها من قبل من له المقدره علي المنح او الاخذ من الواضح انها مشكلة الانسان في كل العصور ولعل موقف دواد النبي في

المزامير ١٠,٢٢,٤٤، حينما يعاتب الله بقولة "لماذا تقف بعيدا يالله لماذا تختفي في ازمنة الضيق وكبرياء الشرير تحرق المسكين" او في مزمور ٢٢ "الهي في النهار ادعو لك فلا مستجيب في الليل ادعو فلا هدو لي" ثم يعود في مزمور ٤٤ ليصل لموقف اقرب لموقف بعض شخصيات كرم حيث يقول "لماذا تتغافي يارب انتبه لا ترفض الي الابد لماذا تحجب وجهك وتنسي مذلتنا".

وبلرغم ان شحصيه كرم يعتبر ان ما يحدث هو مقامره بقلوب العباد ولكنه مثل اي داعية ديني يعود ليذكرنا ان السبب هو "العباد الذين بجهلهم وقله حيلتهم وفسادهم قد اغضبوا الرب.

لا انكر ان مأذق عدم الاستجابة لما اطلب قد صادفني كثيرا واعتبرت ان اولي خطوات الكفر هوعدم معرفة اليات استجابة الله لمطالب البشر ولذلك تعاملت طبقا لقول السيد المسيح "لا تجرب الرب الهك" واصبحت لا اطلب شيئا وما يريد ان يعطيني الله اياه سوف احصل عليه سواء طلبتة ام لا ، واري ان السيد المسيح قد حل هذه الاشكالية التي قد تؤدي للكفر بتوصيتنا ان نطلب مشئية الله.

والملفت في الدعاء ان كلمه الرب كتبت ما بين علامتين مما يضعنا ان نتسأل عن اي رب يتكلم هل هو الله الذي نعرفة ام هو مصلح اجتماعي او قائد سياسي او اي صاحب سلطة من هذا القبيل.

اما العمل الاخر الذي وجه اليه النقد فهو قصة معروف الذي كان لا يغضب ولا يحزن ومتسامح ضد شتامية، وكان يري الله في كل مكان اي ان الكون وما فية هو جزء من الله

واعطي من صفاء الروح ما يمكنة ان يعرف ما يدور في نفوس الناس ، ويري ان الله يهتم بطهارة القلب ولاينظر الي وجوهنا او جيوبنا ولكنه يريد عباد راضين بالمقسوم ولذلك عندما حرق قمحة قال سوف يهبني الله بدلا منه يوم القيامة، ومواقفة الايمانية الباطنية كثيره

ولكن سقطته بالنسبة للقمص وصاحب الدعوي ماورد ص ٣٨ عندما غرقت جاموستة "ينظرمعروف للسماء ثم يبصق تجاة الغرب ويسب ذلك الذي اتباعة يسرقون البشر وشرير وتملؤه الظلمة والجاموسة زوجه الشيطان".

والقراءه التي تجتث جزء من الحدث او جملة من سياقها اما بسبب القراءه السطحيه الغير متأنية او بسبب نقص الخبرة في النقد الادبي هي التي احدثت اللبس في تلك الواقعه، ومن هنا اري ان القراءه الصحيحة للعمل يجب ان تتعامل مع الشخصية بشكل كلي وليس من خلال الاجتثاث لجملة او كلمة.

ومن هذه الرؤيه كيف يفترض ان يستقيم استخدام معروف لكلمات مثل وسخ، تؤذيني، اتباعك يسرقون ويأخذون شقي العيال، تتردع عن شرك واشبع بظلمك تستقيم مع رؤيته لله في كل مكان ومع كل ما يحملة من الخير والحب الالهي والحكمة والذي لا يغضب عندما يسرق والذي كان يري ان العباد يجب ان يكونوا راضيين والذي يري الله في كل مكان.

ولعل يكمن تفسير هذا ان القراءه السطيحة لا تمكننا من قراءه الدلالات التي هي خلف الاحداث والكلمات واري هنا انه لا يكمن تفسير هذا التناقض الا من خلال نظر معروف

للناحية الغربية التي هي رحلة الموت ولعل دفن قدماء المصريون موتاهم في الغرب يؤيد ذلك بينما الشرق فهو التوجهة لله ولعل ورود كلمة الشيطان هو تصريح مؤكد ان كل الحوار كان يختص بالشيطان الذي استرد زوجتة.

اما النص الاخر الذي اعترض علية فهو ان معروف يهزاء من الجنة

" الله ليس بهذه السذاجه ليبشرنا بجنة للجوعي والمكبوتين، الجنة في روحنا، وحياتنا بينما النار التي تلوث بها سمعنا كل خطبة من صنع الكفرة امثالك" ، ويمكن القول ان معروف اعترض علي الفهم الحرفي للنص ولكن الصوفيون يرون ان الوصف القراءني ليس الا تعبير ضمني عن مجتمع لا توجد به معاناة للانسان وان الجنة في الاخره ليست الا بالقرب او البعد عن الله حيث الصالحون سيكونون قرب الله بينما النار الحقيقية ليست الا العزلة عن الله ،ولم يكن هناك مجال لتقريب تلك الصورة الا من خلال رموز يدركها الانسان في ذلك العصر.

ويمكن القول ان معروف هو ابن الحضارة الزراعية الذي فهم جوهر مايريدة الله من الاديان حيث الله ص ٣٩ " رب قلوب والعمل عبادة الله لا ينظر الي وجوهنا ولا الي جيوبنا ولا تهم الصلاه والصوم اذا اكان الجشع والغل يملاء قلوبنا وكان يري ان العمل عباده حيث" كيف يعزق ويروي ويحش الزرع وهو يموت من العطش" وهذه قواعد ايمانية عامه كان يعرفها المجتمع ويطبقها قبل الغزو الصحراوي حيث اصبح الدين هو "ادي الفرض وانقب الارض" هو الاساس.

ولعل رؤية معروف ل الله كانت اكثر عمقا ونضجا حيث رحمتة تعلو الشرع ومن هنا كان الفارق ما بين سيد الملتحي في قصة الميراث الذي طبق الشرع دون الرحمة "عندما رمي اختهم وطفلها لتفترش الحارة بجوار منزل ابيها لتموت محترقة هو وطفلها بحجة ان الشرع يعطيها نصف غرفة في المنزل وان مكانها هو بيت اهل زوجها التي ستدفن في تربهم ص ٣١ ، بينما معروف رائ مخالفة للشرع ان تعطي زوجة الاب البيت كله عندما مات بركات الشايب ووافق الابناء علي ذلك.

اما قصه الشيخ طه ص ٦٣ فهي تطرح الاشكالية الازلية التي سبق التطرق اليها وهي التناقض ما بين رغبات الانسان وطموحاتة ومشيئة الله، التي لم يفهمها او يستوعبها الشيخ طه بعد تلك الكوارث التي حاقت به وفقد عقلة بسببها لعدم مقدرتة علي تحملها واصبح ينطق كفرا وهذا سلوك انساني طبيعي ولو درست كثير من حالات الجنون لكان خلفها احد المأسي التي لم يتحملها صاحبها ولو كان صمود ايوب لمأساتة كما وردت في التوراة هي السلوك الانساني الطبيعي لما كان هناك اهمية ان تسجل في كتب يقراؤها المؤمنون كي يتعظوا منها حتي لا يحدث معهم ماحدث مع الشيخ طه.

واذكر انني تقابلت مع حالات لا تختلف عن سلوك الشيخ طه منهم حسين المجنون الذي كانت مشكلته مع مأذنه جامع صلاح الدين في مدينه الاقصر حيث يصعد علي المئذنة ويكسرها ويلقي بطوبها علي المتجمعين حول الجامع مع سبهم في دينهم وكذلك مواطن اخر كان يعمل في النظافة

في شوارع الحلة في العراق وكانت مشكلته مع الله انه ينزل الامطار وهو يعمل فتعيقه عن الانتهاء من عملة والعودة لمنزلة ولذلك كانت السماء تمطر وهو يبصق في اتجاة السماء سابا الله.

لم يتعدي رد فعل المواطنون العابرون في الحدثين الا اعطاء العذر لهما ولا ادري ماذا سيكون موقفهم لو حدثت تلك الاحداث الان بعد الغزو الوهابي ادعي سيكون سحلهم في الشارع علانيه حتي يكونا عبره لكل من فقد عقله.

وشخصيات اين الله من المؤكد اننا التقينا الكثير منها ولا ابالغ اذا قلت ان اي منا قد يكون بداخله احد تلك الشخصيات و لذلك تطبيق المنفستو الديني علي الادب هو ان نطلب من العمل الادبي ان يصبح احد خطب الجمعة يلعن فيه من لا يطبقون شرع الله متغاضين عن الحاله الانسانية التي تمثل الانسان في صراعة الازلي ما بين الالتزام بالشرائع الدينية التي لا يمكن القول انها تمثل الفطرة الانسانية والا ما كان هناك ثواب لمن يلتزم بها،والعقاب للخارجين عليها ولذلك ليس من المستغرب ان تجد هناك من يرفض الصلاة او فوقية التي رفضت ورقه المأذون والتي تسأل لماذا لا يصرح للمراءه بالزواج من ٤ رجال ص ٤٨و ٥٢، وهناك بحبح المغنواتي الذي ينشد نشيد التوبة ويطلب هو وبالقي الحلقه التوبه والغفران ثم يستريح ليدخن الحشيش ويشرب الينسون ليعود مره اخري ليطلب الغفران.

ليس من السهل سرد كل شخصيات العمل ولكن ما يجمعها انها لشخصيات تعيش بيننا وكل منا في داخلة احد

تلك الشخصيات او جزء منها وهنا ياتي دور الادب في التعبير واخراج التناقضات داخل الانسان الي الخارج.

وهناك تسأول هل العمل الادبي يجب ان يكون حدوتة تنتهي بالتبات والنبات ام هو رصد الصراع الذي يعانية الانسان سواء داخلة او خارجة؟

ادعي ان التناقض ما بين متطلبات واحتياجات الانسان الفطرية والتشريعات التي فرضتها علينا الشرائع في محاوله لترويض الفطرة هي من اكثر التناقضات التي يعاني منها البشر علي مر العصور، وادعي انه لو كانت هذه الشرائع تلتقي مع الفطرة ماكان هناك اهميه للاديان ومن هنا هل من يعبر علي هذا التناقض يقلل من شأن التشريع او يحاسب لانة عبر عن مكنون النفس البشرية ولم يرتضي نفاق الدقانة.

وبمنطق محاسبة كرم علي خروج شخصياتة عن المألوف الوهابي،اري انه يجب محاسبة كل الادباء عن ممارسات شخصياتهم اذا خرجت عن المنفستو الديني الذي يشمل اداء الفروض ، قتل نفس بدون حق ، الزني والي اخر تلك المنهيات الدينية.

هولاء الذين هاجموا الكاتب وشخصياتة لم يعرفوا او يعيشوا مجالة الحيوي الذي الذي وصفه بدقه في عمله الاخير اين الله والذي يبداء بمولده عام ٦٤ قبل الغزو الصحراوي مابين اناس يعملون في الزراعة والصناعات المرتبطة بها مثل صناعة الطوب وجمع المحاصيل وصناعة المحاريث والسواقي قبل ان يصبح محاميا سنه ٨٩.

اي ان الكاتب يتحدث عن حقبة عبرت عنها احد شخصيات قصة معروف صفحة ٤١ بقولها "كانت البلده تمتلئ بالرجال والنساء الشوامخ امثال معروف كانت الحياة لها طعم مختلف استطاع هو وجيلة ان يستصلحوا الارض ويقيموا الشوارع ويستأنسوا الحيوانات دون غدر فهموا معاني ولغة الزرع والحيوانات وأحاسيس البشر ووضعوا اجابات لكل الاسئلة التي لا نجد لها اجابة الان استطاعوا ان يبهجونا بعد رحيلهم بتذكر حكاياتهم وسخريتهم من الاقداروتكتمل صورة ذلك المجتمع الذي كان والبشر الذين عاشوة من خلال احد شخصيات كرم في قصة الحب الالهي ص ٥٥ " يعيشون امنين ،تمتلئ قلوبهم بالتسامح بالرغم من أغلبهم لم يدخلوا ابدا مساجد، يعيشون وسط الحقول والورش وبين الحواري والمواشي والشجر ،سعداء محبين ومحبوبين يدفنهم الحب الروحي دون ان يقيموا فروض الله".

يمكن القول ان سلوك معروف ص ٣٥ وكيلاني وبحبح ومرس وحجاج وتوبه الجزماتي ص ٥٥ وكثير من شخصيات العمل التي لايمكن سردها جميعها هي لابناء حضارة زراعية التي عاشها كرم في محافظه الجيزه بكل ما في هذه الشخصية من عمق وايمان فطري وتعبير عن الذات بتلقائية دون احتياج للتجميل في مجتمع منفتح، قبل ان يشوهها غزو بشر الصحراء في اوائل الثمانينات حيث شخصيات احادية الرؤيه متلقيه تلقن لا تفكر.

واري ان اين الله هو تسجيل ادبي للحظة الانقلاب ما بين انسان ما قبل غزو التدين الصحراوي والتدين المصري الذي

يفهم جوهر وروح النص ولعل تعبير معروف عن بشر حقبة الوهابية من خلال وصفه احد الملتحين بقوله "وجهة القبيح يخيف الاطفال والله يغضب من رائحتهم النتنة رغم العطور الحجازية التي يضعونها، ثم استطرد معروف انضفوا ياكفرة رائحتكم تملأ الحارة عفونة"، اما موقفة من المرأة التي غطت وجهها " يا شيخة العرب ارفعي حجابك ان الله يحب الجمال يا أم شعر اكرت".وتكتمل صورتنا عن مجتمع الثقافة الوهابية التي ازاحت ثقافتنا المصرية من خلال وصف احد شخصيات الحب الالهي لهم "كلاب تنهش لحومنا دون ان ترهبهم احاديث نبوية او ايات قرانية ملؤوا الحواري بزوايا وجوامع وامتطوا عمم الامامة بعد ان نزعت من قلوبهم الرحمة، ينعمون بالصلاة في المساجد المبهرة وحج البيت الحرام يستمتعون بالغل ومخالفة شريعة الله والانسانية بأسم الدين.

واري ان العمل الاخير من المجموعة وهو "اين الله " يحكي مأساته عندما عاد لقريتة بعد غياب حيث تصارعت ذكريات ايام جميلة فقدت في الحقبة الجديدة التي بنيتها الفكرية هي الوهابية وعلاقاتها الاقتصادية التي عمادها سماسرة وتجار يبيعون الهواء و الماء لنشرب ونتنفس بحساب، ولا يملكون الا الحديث عن القبح والغل والكره والنار والشياطين لينزعوا منا التسامح ومن هنا كان دعاؤه الاخير "يارب انني اراك واثق انك ستعود لتحمينا وتعيد لنا البراح والامل لا تخذل دعاء عبد امن بك "

و تسأوله اين لله يتفق مع عتاب داود النبي في المزامير ١٠,٤٤

"لماذا تقف بعيدا ياالله لماذا تختفي في ازمنة الضيق وكبرياء الشرير تحرق المسكين" مزمور ٤٤ "لماذا تتغافي يارب انتبه لا ترفض الي الابد لماذا تحجب وجهك وتنسي مذلتنا".

ومن هنا كان تسأول اين الله هو تسأول العتاب وليس نفي الوجود ولعل هذا العنوان هو من خلق لدي المجموعة التي تضامنت فيها مع صاحب الدعوي الاصلي في الاغلب بدون قراءه محتوي العمل.

القارئ للمجموعة القصصية اين الله يلاحظ ان الايمان بالله في حياه كل شخصياتة والصراع الذي يظهر من الصفحة الاولي لقراءة الدعاء، لم يكن صراعا عمادة الكفر بالله ولكنه ما بين ثقافة بدوية احادية ملقنه يملؤها الحقد والكره الغل تري ادي الفرض وانقب الارض ص ١١٥ وثقافة زراعية عمادها "ربنا يري قلوبنا ولا يري اوجهنا او جيوبنا " كما وردت كثيرا علي لسان شخصياتة.

ولا يمكن لعمل ادبي ان يكون بلا صراع وهو الذي ينقله من دائرة المقال الذي يتطابق فيه الواقع واللغه والمباشره الي ولذلك لا نتوقع عند قراءتنا لعمل ادبي ان نسمع نفس التعبيرات او الاحاسيس او حتي ردود الافعال التي قد نراها علي ارض الواقع.

وبالرغم من انني اؤكد انني لم اكتب هذا الموضوع بنية الدفاعا عن الكاتب او العمل ولكنني لا انكر انني تورطت محاولا استكشاف اشكالية قراءة النص الادبي الذي يضعة في دائرة العقاب والذي هو كثير لحدوث من قبل بعض المواطنين والمحامين المتخصصين في هذا النوع من القضايا اما عن قناعة او عن رغبة في الشهرة.

واذا اكانت حرية السب والشتم وقذف الاخرين وبث الكراهيه والتحريض علي قتل المختلفين متاحة للوهابيين وكتابهم فمن الاولي ان تترك حرية الابداع للكتاب والادباء والتي لن تكون الا لخلق انسان مصري يتناسب مع ما يشهده المجتمع المصري من حراك واستنكر ان ترتضي الكنيسة ان تصبح جزء من الهجمه الوهابية علي الفكر والعقل المصري.

الاتهام بازدراء الاديان يواصل مطاردة الروائي كرم صابر

تسود الحركة الأدبية والثقافية والفكرية حالة من الغضب مع اقتراب موعد جلسة المعارضة فى قضية الكاتب الروائي "كرم صابر" والتي ستعقد يوم ٢٠١٣/١٠/٢٢ بمحكمة ببا بمحافظة بنى سويف التى أصدرت ضده حكماً مشدد بالسجن لمدة خمس سنوات وهو حكم غير مسبوق شهده كاتب أو روائى فى مصر منذ ٢٠ عاماً وذلك لادعاء بعض الأشخاص أن الرواية تضمنت بعضا لألفاظ التى تعد ازدراء لأديان وهو الاتهام الذي طال العديد من الإعلاميين والكتاب خلال العهود السابقه.

هذا الحكم الذي يراه المبدعون من الكتاب والصحفيين والاعلامين عودة بالإبداع الى زمن محاكم التفتيش الذي شهدته أوربا في عصور الظلام والمؤسف والمرفوض ان يتم ذلك عقب ثورة عظيمة قامبها الشعب المصري. وقد استنكر المتضامنين مع الروائى من مختلف الاتجاهات الفكريةوالكتاب هذا الاتهام الذي بني على أساس فضفاض وجه من غير ذي صفة. مؤكدين أن العمل الإبداعي هو مسئولية جهة الاختصاص وهم النقاد والقراء وان مطاردة المبدعين بمثل هذه الاتهامات يؤدي الي حالة من الظلامية وتكبيلا لإبداع خاصة وان مصر شهدت خلال تاريخها تجليات للحرية الفكرية التي أنتجت أعمدة ثقافية ليس في مصر وحدها بل في المنطقة العربية والعالم بأسره.

وشددوا على أن مصر لنتقبل تكرار هذا القهر الذي سبق وتعرض له كاتب بقامة نجيب محفوظ عندما اتهمه جاهل بالكفر وأوشك أن يدفع حياته ثمناً للجهل او كاتب وطني مثل فرج فودة الذي تعرض للقتل دفاعا عن الحرية والكرامة الإنسانية ومن قبلهم عميد الأدب العربي طه حسين.

ومن منطلق الدفاع عن قيمة مصر وقامتها فأننا نرفض كل أشكال التهديد باسم الدين والدين منها براء ونربأ بالمنصات العالية للقضاء الشامخ أن تنتصر لحقيقة مؤكدة أن الإيمان هو علاقة الانسان بربه وان ترفض منهج التفتيش في الصدور.

ونرجوا من كل القوى الوطنية التضامن ليس مع كرم صابر بل مع كلا لمبدعين الذين صدرت ضدهم دعاوى بالتكفير والمنع وبدلا من ان تفتح لهم أبواب الإبداع فتحت لهم أبواب الزنازين فلا يليق بمصر الثورة حبس المبدعين بينما الإرهابيون أحرار طلقاء

الموقعين على البيان:

١. أ.د. زين عبد الهادى كاتب وروائى
٢. الاب وليم سيدهم راهب و مدرس فلسفه
٣. ابراهيم بركات كاتب وسيارست
٤. أبراهيم عبد الجواد أمين عام أتحاد الفلاحين
٥. إبراهيم على صابر طالب بكليه الزراعه
٦. احمد السعيد كاتب صحفى
٧. أحمد حسن محامى

٨. احمد حسنى عبد الجليل طالب بكليه الحقوق
٩. احمد طارق الحسينى طالب بكليه الإعلام
١٠. احمد عصام الشرقاوى طالب بكليه الحقوق
١١. احمد علي صابر طالب بالثانويه العامه
١٢. احمد فوزى محامى
١٣. أحمد محروس المبادرة المصرية للحقوق الشخصية
١٤. أحمد مصطفى أبو الهدى طالب كلية الحقوق
١٥. احمد مصطفى حسنى طالب بكليه الحقوق
١٦. احمد ناصر بكر قرنى طالب كلية الحقوق
١٧. احمد ناصر عبد الصمد طالب كلية الحقوق
١٨. اخلاص عطا الله كاتبة وروائية
١٩. بهيجة حسين صحفية
٢٠. إسلام إبراهيم زكى دسوقى طالب كلية الحقوق
٢١. اسلام طارق محمد السيد طالب كلية الحقوق
٢٢. اسلام عامر عبدالمنعم طالب كلية الحقوق
٢٣. اسلام محمود منصور محمد طالب كلية الحقوق
٢٤. اسلام مصطفى حسنى طالب بالثانويه العامه
٢٥. اسماعيل حامد مدير جمعية الرهاوى للتنوير
٢٦. أشرف راضى صحفى ومحلل سياسى
٢٧. أشرف عزيز محامى
٢٨. أشرف يوسف شاعر محرر بدار التنوير
٢٩. أمانى الوشاحى مستشارة رئيس منظمة الكونجرس العالمية للأمازيغ
٣٠. أمينة النقاش كاتبة
٣١. امينه عبدالله شاعره

٣٢. ايمن نبيل صحفي
٣٣. ايناس ابو عرب السيد
٣٤. بسمة عبد العزيز كاتبه
٣٥. بشير السباعى شاعر ومترجم
٣٦. بيشوي البسيط صحفى ومدير مركز ابحاث المؤرخ
٣٧. ثروت صموائيل كاتب ومدير تحرير جريدة الطريق
٣٨. جمال بركات المحامى ورئيس مؤسسة عدالة لحقوق الانسان والديمقراطية
٣٩. جمال جورج صحفى
٤٠. جمال عيد محامي والمدير التنفيذي للشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان
٤١. جمال فتحى السيد صحفى
٤٢. الجميلى أحمد كاتب و ناشر
٤٣. جون حبيب مدير المركز المصرى لدعم المواطنة وحقوق الأنسان
٤٤. حاتم تليمة دكتور كيميائى
٤٥. حاتم حسن شاعر
٤٦. حاتم طارق عبد البر طالب بكلية الآداب
٤٧. حازم عماد احمد طالب بكليه الحقوق
٤٨. الحسن صلاح طالب كلية الحقوق
٤٩. الحسن صلاح محمد امام طالب كلية الحقوق
٥٠. حسن كمال مؤسس حركة مصر العلمانية
٥١. حسين عبد الغني صحفي
٥٢. حلمى النمنم كاتب ونائب رئيس هيئة الكتاب

٥٣. حمدى معبد مدير منظمة العدالة الإجتماعية
٥٤. حنان رزق مدير إدارة التجميع بمركز المؤرخ
٥٥. حنان كمال اعلامية
٥٦. د / على شوشان طبيب نفسي
٥٧. د.احمد الأهوانى كاتب وأستاذ بكلية الهندسة
٥٨. د.رامى عطا الله باحث وكاتب
٥٩. الدكتور / جمعة طه عبدالعال (زهير) دكتوراه فى القانون الدولى
٦٠. الدكتور / عمرو أسعد فنان تشكيلى
٦١. رانى عدلى عدلى كاتب
٦٢. رانيا نبيل صحفيه
٦٣. رضا عطية ناقد و كاتب
٦٤. رمضان حسن مدير ادارى
٦٥. روبير الفارس كاتب وصحفى
٦٦. رومانى جاد الرب نائب رئيس مركز الكلمة لحقوق الأنسان
٦٧. ريمون مجدى طالب بكليه السياسه و الاقتصاد
٦٨. ريمون وجية مدير المركز الوطنى لحقوق الأنسان
٦٩. سامح سامى كاتب
٧٠. سعد محمد فيصل طالب بكليه اداره اعمال
٧١. سعيد الكفراوى كاتب وقاص
٧٢. سعيد عثمان رئيس أتحاد الفلاحين
٧٣. سليمان شفيق باحث و صحفى
٧٤. سميح منسى مخرج سينمائى

٧٥. سهى ذكى روائية وقاصة مصرية
٧٦. السيد السيد تيمور طالب كلية هندسة
٧٧. الشاذلى الطيب حسان محمد طالب كلية الحقوق
٧٨. شريف فياض استاذ باحث بمركز بحوث الصحراء
٧٩. صابر بركات نقابي عمالى
٨٠. صابر جمال طالب بالثانويه العامه
٨١. صابر شندى الامين العام لنقابة عمال حفر الابار
٨٢. صفوت جرجس مدير المركز المصرى لحقوق الأنسان
٨٣. طاهر عطية ابو النصر المستشار القانوني للشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان
٨٤. طلعت رضوان اديب وناقد
٨٥. طه عبد المنعم كاتب و ناشط ثقافى
٨٦. عاطف سيد محامى
٨٧. عبد الحفيظ طايل الامين العام لنقابة المعلمين المستقلة
٨٨. عبد الرؤوف الضبع استاذ علم الاجتماع بكلية الاداب
٨٩. عبد الرحمن احمد عبد السلام طالب بكليه الحقوق
٩٠. عبد العزيز جمال الدين كاتب و مؤرخ مصرى
٩١. عبد العزيز نايل شاعر
٩٢. عبد الغنى داود ناقد و كاتب
٩٣. عبد المنعم رمضان شاعر
٩٤. عبدالرؤوف احمد نقابة الاسماعلية للمزارعين

٩٥. عبدالله المأمون مركز الارض لحقوق الانسان
٩٦. عبير محمد بدران أستاذ إدارة أعمال
٩٧. على ياسين كاتب وصحفى
٩٨. عماد حجاب خبير حقوقى و أعلامى
٩٩. عماد حمدى محمد رئيس الاتحاد الاقليمى للنقابات المستقله لمدن القناه و سيناء
١٠٠. عمرو عبد السلام محامي
١٠١. عيد غالى ناشط حقوقى
١٠٢. فادى داود بشاى طالب بكليه الحقوق
١٠٣. فاطمة رمضان نقابية
١٠٤. فرج عبد العزيز محمد طالب كلية الاعلام
١٠٥. فريد زهران ناشر
١٠٦. م / عبد الرؤوف عبد الرحمن باشا
١٠٧. ماجد سمير كاتب ساخر وصحفى
١٠٨. مارسيل رياض خبيرة فى التنمية
١٠٩.ماندى مراد فهمى مترجمة
١١٠. متولى نصير رمزى محامى
١١١. محمد البعلى ناشر و أعلامى
١١٢. محمد حجازي سليم مستشار نقابة المحامين
١١٣. محمد عبد القادر موسى قاص وناقد
١١٤. محمد مجدى طالب بكليه التجاره
١١٥. محمد محمود خيرى طالب بكليه اداره الاعمال
١١٦. محمد محمود محامي بالشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان
١١٧. محمد هشام أستاذ الادب الانجليزى بجامعة حلوان

١١٨. محمود حسن ابراهيم رئيس نقابه الحرفيين بمحافظه الاسماعليه
١١٩. محمود راضي محامي
١٢٠. مدحت الجيار استاذ الادب العربى
١٢١. مدحت صفوت باحث و ناقد
١٢٢. مدحت طه طبيب وشاعر
١٢٣. مروان سالم شاعر مصرى
١٢٤. مروان عبد الدايم محامى
١٢٥. مصطفى على فضل مهندس زراعى
١٢٦. مصطفى مجدى على طالب بكليه الحقوق
١٢٧. معتز جميل محمد طالب بكليه الحقوق
١٢٨. مكاوى سعيد كاتب وروائى
١٢٩. منار عبد الحميد كاتبة ومترجمة
١٣٠. منال الطيبى شاعرة
١٣١. ميلاد حنا صحفى وكاتب
١٣٢. مينا عادل صدقى طالب بكليه اللغات و الترجمه
١٣٣. ناجى فوزى استاذ النقد الادبى بمعهد النقد
١٣٤. نادر محمد ناقد و كاتب
١٣٥. نانسى نمر مديرة مركز صرخة لحقوق الأنسان
١٣٦. هاشم فرج الامين العام لاتحاد الفلاحين
١٣٧. الهامي سلامة
١٣٨. هانى صالح مهندس وقاص
١٣٩. هشام العربى شاعر
١٤٠. وائل احمد طارق طالب بكليه الحقوق

١٤١. وائل توفيق صحفى
١٤٢. وليد حشمت محمد مأمور ضرائب حزب الكرامة أسيوط
١٤٣. ياسر أبو جامع شاعر
١٤٤. ياسمين مصطفي حسنى طالبه بكليه التجاره
١٤٥. يحيى فكرى كاتب و نشط سياسى
١٤٦. يوسف شهاب مصري مقيم في فرانكفورت ألمانيا منذ ٤٣ عاماً، صاحب أعمال